الطبعة
3

محمود إمام

الجلسة التاسعة

رواية









18 ش العرب من شارع 77 المعادى ـ القاهرة
Mobile: 01143679371 ـ 01224068553
Facebook: السـراج للنشـر والتـوزيـع
E-mail: seraj.books@gmail.com

الجلسة التاسعة
محمود إمام

رقم الإيداع: 2015/11432
الترقيم الدولي: 6-1-85203-977-978

الطبعة الأولى: 2015 م ـ 1436 هـ

الناشر: © السـراج للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية ـ القاهرة

تصميم الغلاف: أحمد مراد



الجلسة التاسعة

رواية

محمود إمام

السراج للنشر والتوزيع



ربما تكون رواية من نبع الواقع، ممزوجة بالخيال.

خيال لا يمت بصلة أي واقع.

ربما تكون فكرة..

الإجابة تأتى دائما كالمعتاد بالنهاية.

استعد.

شكرا يا أمي العزيزة

إلى روح أبي العزيز رحمك الله يا أبي، أتمنى أن تكون في مكانة عالية.
إلى أمي العزيزة وأختي ويوسف وعمر ومريم ونسمه ربنا يبارك فيكم.
إهداء خاص جدا لـ:
(محمد عصمت)، (سارة شمس الدين).
إهداء وشكر خاص جدا للعراب:
د. أحمد خالد توفيق.. فخر ليا رأيك الجميل في روايتي الأولى.

«وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة».
«إلى حبيبتي.. كنتِ طريقي للأمل، وحان دوري لرد الجميل»
«أحبك كثيراً».



الهيئة متهالكة لمنزل محطم معنويا.. كان على أمل الترميم المبكر قبل أن يفقد أوصاله العاجزة من الداخل.. حتى تلك المنضدة الخشبية تحتاج لمزيد من المسامير الحادة حتى تصلب قامتها وتسترد قليلا من هيبتها، لا مسامير.. لا مطارق.. لذلك هي دائما تهتز عندما أحاول الإمساك ببراد الشاي الساخن الذي قد ابتلعه الصدأ من القاع، ذلك الذي لم يمنعني مطلقا من إعداد كوب من الشاي الساخن مصحوبا بنكهة الصدأ المميزة.. أضعه مرة أخرى على المنضدة المهتزة، يطرق الباب صاحب المنزل مرتديا ذلك الجلباب الواسع، لم يتغير تقريبا منذ موعد افتتاح تلك العيادة الرثة.. دخل متجهما متقدما بكل غضب يطالبني بدفع أجرة تلك الخرابة الصغيرة.. يثور ويغضب ويكسر بواقي الباب المتهالك الذي لم يجد من يعطف عليه يوما، ويقوم بإصلاحه رأفة بحاله.

أتذكر أيام عملي الأولى.. تكليفي الأول أعني.. كنت حينها محترما بحق.. كان المرضى يقدرونني.. أتشك في صدق كلماتي؟!.. لك كل الحق.. أقص لكم واحدة مثلا: "الحالة الأولى، أستاذ فريد.. تفضل.. طرق الباب باحترام وراقبته وهو يدخل كالممسوس.. قلت له أشير إليه بالجلوس، راسما معالم الود على ملامحي التي كثيرا ما تخدع المرء: "هيا



قل ما لديك كلى آذان صاغية". نظر إلى لا شيء.. وكأنه مسحور.. دائما يفعلون ذلك.. قال:

ـ أحبها.. من كل قلبي.. لست أدري لماذا لم تفارقني.. عندما فارقت الحياة.. إني سأموت خلفها.. ولكنني لم أمت؟.

حالة الصمت اعتدت عليها.. لم أقاطعه مطلقا وأنا أدون كل شيء..

وأكمل المريض بهدوء:

ـ كانت معي.. في كل مكان.. أراها تمسك كفي بهدوء عندما تنتابني العصبية.. أراها تحاول مشاركتي في العمل.. إنها لا تفارقني تقريبا.. ولست أدري ماذا أفعل؟.. كيف أتخلص منها وأنا بداخلي أتمتع برؤيتها؟!.. بل كيف أكون معها وأنا على قيد الحياة؟!.. هل أقرر الذهاب إليها؟.. جئت إليك اليوم لأخذ المشورة.

خلعت نظارتي وأنا أقول بهدوء مريح:

ـ أنت شخص جيد يا فريد.. ولذلك هي تحاول الآن إفساد حياتك.. تطفلها الوقح على حياتك وهي بالعالم الآخر قطعاً هو نوع وقح من الأنانية بالطبع.. إذن لماذا لم تدعك وشأنك حتى الآن؟ بالطبع هي أنانية وتطمع في شاب مثلك وسيم.. فالكثيرات الجميلات يتمنين نظرة من رجل مثلك.

التفت فريد إلي فجأة.. لا أخفي خوفي من نظراته لكني تجنبت ذلك أمامه.. وأظهرت كما هائلا من المحبة والود وأنا استقبل كلماته:

حاولت التقرب من إحداهن لكنها منعتني.. ولم أرد إغضابها!.



ـ ولماذا لا تتركها تغضب أو تذهب إلى الجحيم.

قال فريد كطفل صغير وديع لا يعرف الطريق لأمه:

ـ حقا.. هل بوسعي فعل ذلك الأمر.

ـ بالطبع.. انظر إلى هيئتك.. عيونك خضراء.. وجهك دائري.. الفتيات جميعهن يحببن الشاب الذي يتمتع بهذه المواصفات.. اقترب من تلك الزميلة بالعمل أكثر وأكثر.. وأعدك.. سوف تحبك أكثر منها.

قال: ـ حقا؟.

أكملت:

ـ سوف أعطيك بعض تلك الأدوية لتجعلك لا تراها مرة أخرى.. ويجب أن تأخذها في مواعيدها..

لتغضب تلك اللعينة.

قال فريد بفرحة كطفل تائه عثر على أمه بالسوق:

ـ حسنا، حسنا.. لنغضبها.

وعندما ذهب المريض.. دونت ملاحظتي.. حالة من التوحد الجزئي نتيجة وفاة والديه، وابتعاده عن الجميع، نسجت له حبيبة تعتني به، حالة متكررة، في تلك الفترة ينسج عقله كائناً حيا، يرى ويتكلم ويتجاوب.. ويساعد ويكره.

نفضت غبار تلك الذكريات القديمة الجميلة.. التي أخذت بالتدهور التدريجي إلى أن وصل بي الحال إلى موقعي كاللوح بين جدران تلك



العيادة الكئيبة!.. بسبب تلك الفضيحة القديمة التي حدثت عندما أتت تلك الفتاة الحسناء.. وبعثرت مذكراتها أمامي عن طريق فضفضة المريض الخاصة لطبيب (أمين!).. يحتفظ بأسرار المرضى، ويراعى مرضهم.. ائتمنتني وأخبرتها بأنني ذلك الشخص الوحيد في ذلك الكون الذي يستحق ثقتها، وتناسيت منصبي الرسمي "بوزارة الصحة" لخيانة شرف المهنة، خصيصاً تلك المهنة التي تحمل أسرار المرضى.. واقتحمت بغتة تلك الممرضة غرفة الكشف.. لتكشف وضعا عاريا، و.. تبا.. يا للعار.. هربت من المستشفى ومن كل شيء.. إلى أن نخرت كالدودة في باطن الأرض بحثا عن منزل يصلح لعيادة طبيب نفسي لا يعلم عنه أحد شاهد على تلك الفضيحة. لم أخف ضحكاتي عندما سمع أهل الحارة بوجود عيادة لطبيب نفسي.. يعالج المجانين. عندما راقبت إحدى السيدات تطل من البلكون لترى الزائرين.. وكأنهم كائنات فضائية عجيبة.. وهبت مسرعة تحضر زوجها الذي لم ير سوى مريض مستريح على الشازلونج. قائلا بصوت مسموع:

- خالينا في حالنا!.

ذكريات كئيبة فعلاً، رميتها ونحرتها من ذهني الآن وأنا أمسك بالجريدة الوطنية المليئة بالخداع!. التي لا أعتقد بوجود فارق بيني وبينها، كلانا يخالف ضميره أحيانا لكسب لقيمة العيش.. أتسلى بذلك الكم من الأخبار الخادعة الروتينية.. يقنعك بأنك بخير وبأنك لا تشعر بأي معاناة في ذلك الكون!..

و..!

الباب يطرق!.



اللعنة على صاحب ذلك المنزل. لا ليس هو تلك المرة...

فاتنة ممسك يدها رجل بالغ.. تقريبا لم يبلغ الخامسة والثلاثين على ما يبدو..

كيف؟.

لم أعتد في الفترة الأخيرة رؤية أشخاص يرتدون أزياء غالية الثمن!..

كانت سيدة يجاورها رجل يقبض له القلب من أول نظرة..

رجل صارم وقاس مكشر الملامح..

يسير معها وكأنه جاء هنا (مغصوب عليه) كما يقول البعض..

يبدو من ملامحه أنه عاش حياة قاسية، محروما من نعم الدنيا، من عينيه الدائرية الممتلئة بحسد بعدد سنين عمره، ذات لون أسود قاتم، وحاجباه الكثين اللذين اتخذا شكل السبعة المعروف..

أما السيدة كانت حسنه المظهر.. قصيرة القامة.. بيضاء الوجه.. صاحبة عيون لا تعلم لها لونا مميزا..

كما يقولون (ملونة).. تعمدت ارتداء أزياء باهظة الثمن؛ كي تكون مميزة عندما تجيء إلى ذلك المكان المقفر، ويراها القوم الذين رغم بساطتهم راضين مقتنعين بحالهم.. وذلك لا يمنع الانبهار الشديد بتلك الحسناء.. لا عجب عندما أرى القوم مجتمعين خارج الأبواب، منتظرين خروج تلك السيدة.. التي كأن الحلي يغطي يديها.. الناعمتين.

تقدما نحوي ببطء ورصانة.. وقفت باحترام مادا يدي نحو الرجل:



ـ أهلا تفضلا بالجلوس من فضلكما.. ماذا تشربان؟.

قال الرجل بعد مصافحتي ببرود:

ـ لا نريد شيئا!؟.

قالت السيدة بصوت رقيق حذر:

ـ شكراً.

ـ ماذا تخبأن خلفكما أيها القوم.. من منكما المريض اليوم؟.

الأمر مربك؟.

يبدو أن أحدهم يحمل لعنة ما.......

الفتاه كما يبدو لي، ومن دراسة علم الفراسة، تشعر بالنقص وفقدان الثقة في نفسها تماما..

تتوتر ثم تنظر إلى الرجل ليتحدث بالنيابة عنها...

قال الرجل بخشونة:

ـ لقد سمعنا عنك منذ زمن.. ومعنا لك عميل لا يرفض أبدا.

ـ تقصد مريض؟.

ـ فليكن!.

قالت السيدة وهي تخرج دفترا كبير من حقيبتها:

ـ أريد زوجي أن يقتنع بكل تلك الأحداث التي بداخل ذلك الدفتر.. أريده أن يتذكر كل شيء.. بل والاقتناع به أيضا.



قال الرجل بنفس الصرامة:

- أريد منك إتقان ما سوف تفعله وتقوم به على أكمل وجه.

- قالت السيدة بلكنة حذرة:

- سنعطيك مبلغ لن ترفضه أبدا.. سيجعلك تبدل تلك العيادة بفيلا.. افعل به ما تشاء.

التلعثم يصيب فمي.. مريض.. مبلغ من المال.. عيادتي الحقيرة.

يبدو من ملامح الرجل أنه يرفض الأمر برمته.. ولكنه مصر عليه وبشدة.. الأمر غريب حقاً.

قال:

- نريد منك إعداد تلك الجلسات بدقة وصبر شديد.. ذلك الرجل يسكن في فيلا الـ( ).. ذلك في حالة فقدنا القدرة على إحضاره لعيادتك بالطبع.. لكن منعا للشبهات سوف نسعى بكل السبل لإحضاره لك هنا.

قالت السيدة:

- ثلاثة ملايين مناسبة؟!.

ماذا؟؟!....

ثلاثة ملايين جنيه دفعة واحدة؟!.

لابد أن تبقى ملامحي هادئة.. لا أبدي إعجابا ولا انبهارا بأي شيء ينطقا به.. حتى لو بمبلغ يسيل له اللعاب من فرط كثرته.



كي لا أصبح أنا الفريسة السهلة التي يتلاعب بها الآخرون.

ـ "سوف أطلع عما بداخل ذلك الدفتر أولا.. ثم أخبركم بإحضار ذلك المريض".

قال الرجل:

ـ خذ وقتك!. المهم نجاح تلك الجلسات، وإلا تناسى ذلك المبلغ.. أنا أعلم أنك تحتاجه.

حقا أحتاجه؟..

وأتمناه.

ذك المبلغ كفيل بإزالة تاريخي الأسود بأكمله. سوف أضع حداً لحياة الفقر الكئيبة. إنها اللحظات الأفضل بلا شك. تخليت عن بعض الأشياء من أجل.. من أجل ما نبحث عنه جميعا؟..

المال.

غادرا العيادة.

تركا عرضهما يختمر في وجداني.

وهما يعلمان الرد؟.

ويدركان الإجابة؟.

إذن لنبدأ.



الجلسة الأولى



"لا تظن أنها رواية من روايات ألف ليلة وليلة..
أو مغامرات لبعض الأبطال الشجعان.. إنما هي
أكبر خدعة سوف تتعرض لها من الآن".



في جزيرة صامتة تبعد تحديدا خمسين ميلا قرب البحر المتوسط.. تنتصب الأشجار في زهو ناظرة إلى الشمس.. كان هناك شيء آخر يسكنها.. مخلوقات شبيهة بالإنسان.. كانوا يعيشون منذ الأزل أسفل الأرض.. يحفرون بأظافرهم خشية القتل أسفل الرمال.. وبعدما استقر بنو البشر في الحضر والمدينة، صعدوا إلى السطح من جديد.. بعد حرب شرسة، قتل من قتل من بني البشر وتبقت سلالتهم..

أحجامهم تحورت وتكورت بفعل الانحشار والتقوقع داخل الرمال.. وتناسلوا.. وخرجت سلالة غريبة الأطوار.. قصار الحجم... حدب الظهر.. يتحدثون بلغة لا يفهمها سواهم..

لديهم القدرة على التحول لأشكال عجيبة.. والأهم من كل تلك الأشياء لو هبط إنسان تائه عبر تلك الجزيرة.. يهموا بممارسة انتقام قديم من نوع آخر..

الترهيب..

قدراتهم قاسية حقا!.. الساعة الآن حسب التوقيت النجمي الثانية والنصف مساء..



حيث اشتعل لهب النيران.. وارتفع صوت.

ـ (كيزانا.. ريتوينئ.. فيونا).

قالها ذلك العجوز أحدب الظهر، كث اللحية البيضاء.. كبير الجمجمة بشكل ملحوظ..

ناظرا إلى لهب الأخشاب المحترقة.. أمامه صغار حدب الظهر مثل سلالته، برزت أنيابهم الصغيرة كأطفال دراكولا.. ببشرة بيضاء.. مكسوة شعرات متهتكة فوق رؤوسهم الصغيرة.. أما ذلك العجوز الأحدب كالمعلم يشرح على سبورة، قال بأداء ينافس جاك نيكلسون في دور الجوكر الجنوني:

ـ الجميع يعلم من أنا.. المعلم هليوسز.. أكبر المخلوقات عمرا هنا.. منذ حرب شليوس.. تلك الحرب التي انتهت بخروجنا منهارين.. ومنذ عودتنا قررنا الانتقام من نسل الإنسان.. هل أنتم مستعدون؟.

هتف جميع الصغار بالتأييد..

ظهر على سطح نيران شعلة اللهب المحترق.. صورة! ينقشع عنها الضباب أكثر وأكثر.. الصورة تتعرى لتكشف للمشاهدين صورة سيارة تسير عبر غابة قديمة، قال:

ـ يا صغار الكون.. هؤلاء ما يطلق عليهم منذ الأزل سلالة (البشر).. يمرحون ويسيرون بالأرض.. ماذا تقترحون؟.

قال أحد الصغر كاشفا عن أنيابه الصغيرة ببراءة:



ـ سوف يحرقون داخل أتون اللهب.

نظر العجوز الأحدب بغضب كأنه يؤنب أحد الصغار لتسرعه في الإجابة قائلا:

ـ كلا.

قال صغير آخر:

ـ سوف نسلخ جلودهم لصنع الشمع.

قال الرجل في حكمة مشيرا إلى الصغير بهدوء:

ـ اقتربت.

ناظرا إلى الصغار أجمعين كقائد سيمفونية الأوبرا.. مطلقا صوتا مماثلا لزائير الأسد.. ثم عاد يقول بأداء مسرحي:

ـ سوف نتلاعب بعقولهم..

وأشار إلى جمجمته الكبيرة:

ـ عبر هذا.

وهب الأطفال في التصفيق الحار مبهورين بمعلمهم الفذ القدير.. تصفيقات من جنس لا يمت بصلة للجنس البشري الذي نعرفه!.

ما نلقبهم بجنس الاحاد القدامى.

* * *



سيارة غالية الثمن تسير بنعومة عبر ذلك الطريق الواسع المؤدي إلى غابات وادي الجزيرة.. كان لابد أن نعلم أن قائدها ذلك الشاب الثري الهادئ الملقب بـ"أحمد عاشور"، البالغ من العمر التاسعة والعشرون من العمر.. الذي يرتدي قميصه الأبيض مفتوح الصدر، كأنه يتعمد إظهار بنيته القوية، ومواظبته الدائمة على تمارين الجم باهظة الثمن.. والتي بجواره تلك الفتاة بارعة الحسن زوجته التي لو مس الغبار وجهها لا ينزع أو يعكر صفاء لونه الأبيض.. صاحبة العيون دائمة التساؤل.. تبلغ منحنى الطفولة بسهولة عندما تشرد في لا شيء.. لابد من أن تلاحظ تلك العصبية التي أصابتها فور قرار الأخير بالفرار لتغيير الأجواء إلى تلك الرحلة البعيدة.. مصرا على اصطحاب هؤلاء الأصدقاء القدامى الذين يقبعون بالأريكة الخلفية للسيارة.. لم تندمج معهم مطلقا للفروق الطبقية بينها وبينهم.. تلك الفتاة كان واقعها عكس ذلك الزي الوردي باهظ الثمن، فقط كانت تلك الفتاة التي تسكن الحارات القديمة.. التي جاءتها فرصة من ذهب متمثلة في ذلك الشاب الثري.. لابد وأن تكون سعيدة.. لابد أن تعطيه الكثير من الابتسامات المزيفة.. لقد دفع من أجلها الكثير.. ربما عليها تحمل المزيد من مزاح صديقة السخيف..



منير.. ذلك الشاب حليق الوجه.. رفيع البنية الذي طالما اشمأز منه الجميع بشقه لأذنيه، ووضع حلق رفيع ذهبي يحمل إشارة دينية.. منير دائما كان مصدر سخرية جميع زملائه بالصفوف الدراسية، والوحيدة التي أحبت تلك الهيئة لابد أن تصبح مثله مصابة بداء الجنون، وفعلت أكثر الأشياء جنونا على الإطلاق، مارس هوايته المعتادة بلكزها، حسناء قمحية اللون.. ذات عيون واسعة سوداء التي كانت جواره، كانت نائمة أو كانت تحاول.. يطلق منير ضحكات هستيرية وهو يمسك بورقة.. ويضعها بأنفها.. تصرخ.. فتدور عركة صغيرة بينهما.

يبتسم أحمد وهو ممسك بعجلة القيادة في ثبات.. كم يسعده وجود حركات مرحة خلفه، وليشتعل العالم ما دام رفاقه سعداء.. زوجته كانت عيناها شاردتين جدًا في اللامكان.. غير مبالية بالأحداث الطفولية التي تدور خلفها.. بالخلف زوجان آخران.. كثيرا الشغب.. بداخل غابات كثيفة.. يسير بأحشائها سيارة فارهة.. ها هم يوقفون تلك الخردة الجديدة.. يخرجون فرش طويل على الأرض، الأرض الخضراء.. يفترشون تلك البقعة.. بجوار نهر.. يقسم الغابة إلى نصفين.. يحمل في جنباته أشجارا طويلة تقيهم شر لهب الشمس، ولتشعر كل من يقطن جوارها بالأمان المظلل عبر ساحة نجيلية خضراء. قال (أحمد) جالسا جوار (منير):

- ياااااه أشعر بجمال الإجازة في الحدائق الخضراء.. أخيرا فعلناها يا صديقي.

أجابه منير وهو يرتب الأغراض ويهم بالجلوس بمرح مماثل:



ـ لقد كانت كريستين عروسي الجديدة كالمذياع تردد على مسامعي مقطوعة موسيقية عن فوائد الإجازة، وخصوصا إجازة شهر العسل.. أوووه الجلوس بجوارها هو الجحيم ذاته.. لماذا لا أكون مثلك أتزوج امرأة واثنتين؟!.

لكزته (كريستين) بذراعها في غضب يشوبه المرح:

ـ وأنا لست أدري لماذا تزوجت واحد من أمثالك لا يهتم سوى بحشو فمه والضحك بالساعات أمام شاشات التليفزيون ويترك زوجته الحسناء وحيدة؟!.. يا سادة سوف أدب خنجري في قلبه قريبا.. وأنتم شهداء على ما أقول ما لم يتعقل ويعطينا إجازة شهرية.

ـ كلا، كلا.. اقسم أن أوسعك ضربا أمام الجميع!.. هيا أعدو الأغراض ولنعد لمنزلنا أيتها الفتاة.

قال أحمد بمرح:

ـ ألا تكفون أبدا.. هم هكذا يا زوجتي الحبيبة.. يمرحون ويسبون أنفسهم ويعودون أحباء من جديد.. مجانين.

قالت زوجته وهي تعد بعض الطعام بنبرة خلت تماما من المرح:

ـ يضيفون لحياتهم ألوانا أخرى.. لماذا لا نفعل مثلهم؟.

ـ يكفيني وجودك جواري.. فذلك بكل ألوان الطيف.

ثم اختطف يدها التي كانت ممسكة بطبق الفاكهة وقبلها أمام الجميع.. بنظرة حائرة كانت تنظر نرمين مترددة إلى زوجها، دائما هو كذلك يضع حلولا لكل شعور سيء تشعر به. تلك المرة أمام أنظار الجميع. يحبها



وتلك مشكلتها، أعطته ابتسامة خفيفة، وشردت في تلك اللحظات في قصة السفاري المزمعة تلك.. لن أذهب! قالت نرمين. كالذبابة أخذ يصرخ كثيرا (أحمد):

ـ أريد رحلة.. منير صديقي المقرب اقترح رحلة سفاري.. العمل ممل وأشتاق إلى مغامرة.. تجعلني أريح عقلي من كثرة هموم ومشاغل العمل، حبيبتي نحن بحاجة ماسة لرحلة تثلج صدورنا التي أصدأها العمل المستمر.. حبيبتي.. حبيبتي..

اتبعت نرمين معلقه:

ـ أنا في حالة لا تسمح بالرحلات، لا تفرض شيء لا أريده، هكذا كان اتفاقنا منذ ليلة الزفاف.. لا تأخذ مني شيئا لا أريد أن أعطيه.. لو ذهبت سوف اذهب من أجلك وليس من أجلي.. فهمت!.

قال أحمد:

ـ من يرفض رحلة في الغابات، سوف نرى أشياء جديدة لم تريها في حياتك من قبل يا عزيزتي.. من المفترض هنا أن الرغبة في التنزه تأتي منك وليس مني؟!.

ـ من أجل صديقك وزوجته اللذين لا يكفان عن المرح أبدا؟!.. أكره السخافة.

ـ هؤلاء زملاء الطفولة قبل أن يصبحوا أصدقاء يا عزيزتي، أعطيك فرصة للتعرف على زوجه منير دون اختلاق الأعذار الواهية، أريدك أن تعرفي الأشخاص عن كثب حتى يكن حكمك عادلاً.



لم يكن يدري أنها وافقت على الذهاب بعدما علمت أنه مصر على الذهاب من أجل رفاقه وصحبتهم..

قبلت ليس من أجله بالطبع!. علمت بوجود أنثى بتلك الرحلة وذلك يدعو لإثارة المزيد من القلق داخلها حتى لو كانت تلك الأنثى زوجة صديقه التي تجاوره بالأريكة الخلفية. إنها تدرك إمكانيات الأنثى.. تعلم إمكانات المرأة التي تقدر بالتأكيد على تحطيم قلعة مرصعة بالذهب.. قادرة على إشعال فتنة حكام أعظم المدائن.. ما بالك بالرجل!.. ذهبت وهي تخفي قلقها وتوترها من تلك الفتاة صاحبة الأزياء المكشوفة المتحررة، رغم أن زوجها صديق زوجها المخلص.. فقط تعلم جيدا أنها أنثى، وذلك كفيل باتخاذ رد فعل مناسب لقبول تلك الرحلة في قلب الغابات.

"سأساعدك".

قالتها (كريستين) قاطعة أوتار الجمود التي كانت تتحلى بها نرمين منذ دقائق.. بنعومة أنثوية.. تعلم جيدا (نرمين) ماذا ترمي بلكنتها.. تقول أنا الأنثى هنا.. يبدو أن الصراع بدأ مبكرا عن موعده.

كتمت غيظها وهي تغير من ملامحها الجامدة قائلة بنبرة مرحة مصطنعة:

ـ حسنا.

كانت تعلم بها (كريستين) لكنها أتقنت التمثيل مثلما تتقنه نرمين، فأعطت الجميع ابتسامات ودودة كاذبة، وهي تصب أكواب الشاي الساخن لمنير.. ثم أحمد.. رمقت(نرمين).. (كريستين).. وهي تعطي



(أحمد).. كوبه، لمحت معالم الدلال المبالغ فيه.. أسرعت نرمين تسحق وجود الأخرى فقالت لأحمد:

ـ لا تجلس هنا أيها الشقي قم بشواء اللحم!.

ـ بالمنزل وهنا؟!.. حسن يا أميرتي.

تمنت (نرمين).. حذف كلمة تعبر عن مدى كونها امرأة عنيدة ومرهقة داخل جدران المنزل.. تمتمت وهى تعد الأطباق (أيها الغبي.. عندما نعود إلى المنزل).. تلاشى غضبها مؤقتاً وهى تعد الوجبات.. وتندمج مع الجميع.

قضوا وقتا ممتعا على البساط الأخضر الذي كان يزين أرض تلك الغابات بهدوء منمق من صنع الطبيعة.. وذلك ما أضفى على الشابين المزيد من الراحة.. أما الاثنتان فكان صراعهما مختلفا.. فلا شيء يعنيهما سوى انقضاء الوقت والذهاب لتلقين الزوج درساً قاسياً ليس الآن!.

اقترب وقت الغروب.. حتى قالت نرمين بخوف غير مبرر:

ـ عزيزي ألم يحن موعد العودة.. أنا أخاف الغابة.

قالت (كريستين) بمرح:

ـ تخافين وجوارك زوجك؟!.

نظرت لها (نرمين) لأول مرة بملامح لم تحاول إخفائها، تحمل لمحات الغضب، قائلة وهى تنظر إلى زوجها:

ـ بالطبع لا خوف جوار زوجي!.. ولكنني أرهب الغابات.



قال منير بمرح:

- زوجتي ترهب العناكب.. والفئران.. والثعابين.. أليس كذلك يا عزيزتي؟!.

رمقته بصرامة (كريستين):

- كل الفتيات يرهبن تلك الأشياء لست وحدي.. وبعقلها (أيها الغبي).

أحمد:

- دعونا من تلك المشاكل الأنثوية.. سوف أريكم شيئا عجيبا عبر (اللاب توب).

أضاء شاشته... هتف (منير):

- هيا لنلعب كرة القدم.

قالت كريستين:

- ستظل طيلة عمرك تافه يا عزيزي.

- معك كل الحق إذن لماذا تزوجتك!.

وهنا فعلت ما لم يتوقعه أحد على الإطلاق.

شيء لم يتوقعه أحد من المتواجدين بتلك الرحلة.

* * *



صفعته.. اشتعل كل شيء فجأة، فلم يكن ذلك في الحسبان مطلقا، ذلك وحده كان كفيلا بإفساد جو المرح بأكمله داخل المجموعة، رقص قلب (نرمين) طربا.. اتسعت عيون (أحمد).. أما (منير).. نظرات الغضب تكاد تخرج من محجريه.. وهو يضع يده على شق وجهه الأيمن موضع الصفعة التي حسبها مزاحا، ولكنها كانت مغايرة على ملامح كريستين.. رسمت (نرمين) ملامح الحزن المصطنع.. قائلة لأحمد بهمس:

ـ أهو نوع من أنواع المرح؟!.

وقفت كريستين بكل غضب وذهبت بعيدا. قال أحمد بنبرة خافتة لمنير:

ـ اذهب خلفها.

نظر له منير بغضب واستنكار، ونظر حيث ذهبت.. لا يدري حقا ماذا يفعل بعدما قلبت طاولة المرح وحولتها لساحة حرب.. تلاشى كل شيء بغضب، وقف بصرامة وذهب خلفها..

قالت نرمين بخفوت:



ـ أهانته حقا؟.

قال لها أحمد بملامح جامدة:

ـ تلك هي المرة الأولى!.

ـ أهما معتادان على ضرب بعضهم البعض.

ـ ليس الصفع والغضب؟ تلك هي المرة الأولى التي أراهما بهذا الشكل؟.

قلبت شفتاها كالأطفال.. وهي تنظر إليهما ببراءة.. دون تدخل منها رأت حرب علنية، وذلك كفيل برسم ابتسامة خفيفة خفية أخفتها عن أحمد وهي تنظر إليهما باهتمام.. كريستين تضع يديها أمام صدرها في تحد، ومنير يحدثها بكل اهتمام، موجها إليها كلمات غير مفهومة...

ما لبث أن فعل أكثر شيء كان بعيدا تماما عن توقعات نرمين.

❋ ❋ ❋



احتضنها بحنان.. وقبل رأسها.. واحتواها بين ذراعيه، ضربة قاضية أطاحت بتفكير نرمين التي كانت وحدها تسعد بوجود مثل هذه الأشياء المزعجة بين الأزواج.. ذلك لم يكن متوقعا بعد تلك الحادثة.. وقد تغيرت ملامح نرمين إلى الوجوم الصارم والترقب!. النتيجة الآن لصالح كريستين.. ربحت المعركة الخفية أنثوية الطراز!.

أتيا متشابكي الأيدي.. قال منير كأنه لم يحدث شيء منذ قليل وهو يجلس جوار أحمد واضعا جواره كريستين:

ـ افتح تلك الشاشة وأرنا.. المفاجأة.

(لا.. أريد الرحيل).

قالتها كريستين بتوتر.. ربت على شعرها الأملس منير قائلا:

ـ لماذا عزيزتي.. اليوم ملكنا.. ولم تحن ساعة الرحيل بعد.. هيا يا رجل أرنا.

تنسى أحمد ذلك الوجه الصارم.. فهو لم يراهما في ذلك الوضع من قبل، لذلك قال موجها كل اهتمامه نحو تلك الشاشة:

ـ عثرت بالمعمل اليوم على قطعة من مجلد قديم للغاية.. لا أعلم



عمره تحديدا!.. ولكن الوريقات متهالكة تماما.. وقمت بالتقاط عدة صور لها.. انظروا..

وجه الشاشة إلى ثلاثتهم.. اتسع فاه منير بشغف.. نظرات صارمة من كريستين التي لا تكترث بهؤلاء ولا بوجود شيء ملفت فعلا على الشاشة الصغيرة.. ذلك الموقف فجر داخلها شيئا ما!.. جعلها تنفصل تماما عن ذلك الجمع المرح. على النقيض الآخر نرمين كانت موجهة كامل اهتمامها إلى الشاشة قائلة كالتي تبدي اهتماما زائفا لاحظته كريستين كما تلاحظه وتكشفه أي أنثى غيرها، ورمقتها بضيق عندما قالت بنبرة مرحة:

- زوجي يحب الأشياء القديمة.. يا للحظ. ها ها ها.

سار منير على نفس نهج نرمين المرح قائلا:

- هو هكذا لم يتغير.. يبحث دائما عن الخيال.. ويعتقد بوجود عقلة الإصبع وآلة الزمن!.

تصلبت ملامح أحمد وتقمص دور المعلم قائلا مبتسما:

- هل تعلمون شيئا عن ذلك العالم عباس بن فرناس؟!.. ذلك الرجل يفتح لنا أبوابا من أبواب الخيال الجامح.. خيال الطيران كالطيور.. تشبث ذلك الرجل بفكرة حلق معها.. السؤال هنا يا سادة؟.. لماذا توقفنا عن الخيال؟ وذلك تمهيد لشيء أكثر أهمية وأكثر خيال لما هو قادم، هناك كائنات حية بداخل الأشجار نفسها.. ألم يفكر أحد؟.. أين ذهبت؟!.

قالت نرمين باهتمام:

- أتريد قول إنه هناك كائنات غيرنا على كواكب أخرى؟!.



قال باهتمام:

- كلا بالطبع.

وتخلى منير عن المرح المفرط المعهود قائلا:

- تلاعبت بعقلي منذ الطفولة معتقدا أنك تؤمن بوجود كائنات غير بشرية على سطح كواكب أخرى.

- يا رجل؟!.. أأنت مخبول؟!.

- المخلوقات بالفعل موجودة!.. ولكن على سطح الأرض وليس كوكب آخر.

قالت كريستين لتثبت حضورها:

- ألا يوجد مخلوقات فضائية مثلما يردد الآخرون؟! اشرح لي من فضلك!.

- حسنا.. ليجب كل واحد منكم عن سؤالي التالي: هل حدثت طفرات علمية متقدمة للغاية بالماضي.

قطب منير جبهته وقال:

- لا أعتقد!.

قالت نرمين:

- ربما!.

قالت كريستين:

- أنا أؤيد منير بالنفي أيضا.

- حسنا يا سادة.. أنا أؤيد وجود حضارات سابقة.. بل أكثر من



حضارة.. كانت تحمل تكنولوجيا علمية خارقة.. وما تبقى منها هو مجرد غبار تلك الحضارات.. منذ هبوط الإنسان على سطح الأرض وهو يطغى.. في أسى.. الإنسان عدو المجهول.. الإنسان يستمع كثيرا لنداء النفس الأمارة بالسوء.. الإنسان يفكر ثم يدمر كل شيء.. الإنسان لم يخترع النار فقط بالماضي.. الاختراعات ليست حصرا فقط للمعدن الذكي، بل هنالك اختراعات خارقة بالفعل رغم بساطتها وربما كانت تكمن في الطبيعة نفسها، ربما تلاشت مثلما تلاشت أطلنتس التي تحدث عنها أفلاطون، الإنسان قام باختراعات ثم دمرها من تلاه ليفرض سيطرته بالجهل والسطوة!.

قالت نرمين في إعجاب منتصرة.. قاصدة.. وكأنها غير مصدقة أنه زوجها:

- معك كل الحق؟!.. أنت رائع.

كريستين بهدوء:

- رائع.

منير:

- وماذا أيضا؟!.. وماذا عن المخلوقات؟!.

- بل قل ماذا عن التحور الجيني.. لماذا ببلاد الصين العين ضيقة.. وأوروبا الجمال والعيون الخضراء.. أفريقيا اللون الأسود.. التحور الجيني بالنسبة لمكان الموطن أو بالنسبة للبيئة المحيطة؟.

أنا أتحدث عن مخلوقات الإنسان.. بأنواعه.. الإنسان كان موجود



بالماضي والحاضر.. وينتهي بالمستقبل.. وإذا كانت هناك مخلوقات عاقلة في ذلك الكون فهو أيضا إنسان.. هنالك صور من كتاب "العزيف" القديم.. عن مخلوقات شبه بشرية بها أجزاء من الإنسان.. اليد.. الأرجل.. العيون.. الجمجمة.. ذلك يعني شيئا واضحا ولا يحتاج للتفسير.. الإنسان هو نفسه ذلك الكائن العجيب.. بعد التحور الجيني.

منير:

- أنا لم أفهم شيئا.

علت ضحكات أحمد:

- ومنذ متى وأنت تفهم ما أقوله؟!.

لكزه بمرح قائلا:

- ومع ذلك أنت صديقي المقرب.

قالت كريستين وبصوتها رنة تحمل نبرات الغضب:

- مع الأسف معك حق.. حتى أنا لم يفهمني مطلقا.

أخذها منير في أحضانه بحنان قائلا:

- عزيزتي.

أكمل أحمد وكأنه لم يلحظ شيئا:

- تدرون ماذا اخذ الإنسان من الحيوان.. عن الطاووس التعالي والغرور.. الأسد الشراسة والغدر.. الثعلب المكر.. القطة الوداعة والدلال.. الإنسان اقتبس الكثير من سلوك الحيوان.. ذلك لأننا خلقنا



أحمد يندمج مع منير..

حتى ضحكت نرمين..

نظروا إلى الشاشة من جديد..

أحمد يقول مشيرا إلى الصورة عبر الشاشة المضيئة:

- لقد أرسلت ملف الترجمة إلى صديقي بجامعة أكسفورد "بيتر ريتشارد".. أنت تعرفه جيدا يا منير.

- ذلك الوغد الممل الذي لا يكف أبدا في البحث عن الأوهام الخيالية!.. الذي يكاد يموت لإثبات وجود كائنات فضائية.. وأبحاثه عن انهيار جدار برلين(*) ويزعم أن من ورائه كائنات فضائية.. المخبول يظن بوجود كائنات عاقلة وراء النجوم!.

- أنت لا تعلم شيئا مطلقا عن "بيتر"، هو أمهر شخص يمكنه الغوص في ذلك العالم ومعرفة الأسرار الخفية وحلها أيضا، لذلك أرسلت بطلب عاجل لحل طلاسم اللغة العجيبة.. المدهش والمفاجأة هنا..

بالفعل أرسل لي تفسيرا.. متشوقون لمعرفة سر تلك الصورة؟.

منير:

(*) أثناء انهيار جدار برلين سنة (١٩٨٩).. كان بعض الأطفال في روسيا يلعبون كرة القدم فرأوا فجأة مركبة غريبة حمراء اللون تهبط على الأرض، وبعد ذلك خرج منها مخلوق غريب لديه ٣ عيون، وفي حوزته جهاز لم يعرفوا ماذا كان يفعل به.. ورغم ما قيل عن صحة الخبر إلا أن بعض رجال الشرطة الذين كانوا متواجدين في أماكن متفرقة من موقع الحادث أكدوا رؤيتهم لشيء يشبه الطائرة ينزل إلى الأرض.. ولم يتم التحقق بشكل كامل من صحة هذه الأخبار إن كانت مشاهدات حقيقية لصحن طائر ولقاء من النوع الرابع مع كائنات فضائية..



- تبا لك.. ها ها.

ابتسم أحمد قائلا:

لقد أرسل التفسيرات الممكنة لحل طلاسم تلك اللغة الغريبة التي تظهر.. قائلا:

"صديقي العزيز.. أولا حقيقة لا تقبل الشك! هناك أشياء خارقة للطبيعة.. الأشياء الخيالية التي نعلمها وندركها في أحلامنا وكثيرا نطمح للوصول إليها بكل الأشكال! التي نراها عبر الشاشات المستديرة، كل الأشياء الميتافيزيقية المستحيلة، كانت تحدث لقوم بالقرون السحيقة بشكل روتيني وطبيعي حتى أصبحت حقيقة لا تقبل الشك أو النزاع، ومعترف بها، تسير وفق قوانين وحدود ونظم محددة، كانت تعيش بسلام دائم إلى أن أتت إبادتها بكل نعومة كما تزيل سطح كوب الحليب من طبقات القشطة الدسمة، فأصبح عار من خيالها العجيب.

زمن تلاشت الماورائيات بالكامل من على سطح الأرض بوجود أخطر الكائنات وحشية "الإنسان" ودمرها بل أذابها كما تذيب الأمطار بيتا صنع من الرمل. وفردت هيمنتها القوة البشرية لتعلن تواجدها وترفع رايتها أمام قوى الطبيعة، خارت كلمة "خارقة" من براثن كلمة "للطبيعة".. لتصبح وحيدة دون مميزاتها الخارقة. وليصبح الإنسان المالك الوحيد وصاحب دهاليز الطبيعة وحده. ومما لا شك فيه أن تلك الصورة يعود عصرها إلى زمن قديم للغاية.. حيث كانت هناك مخلوقات غيرنا.. حيث كانت وقتها تملكها وتتحكم بمقاليدها، لا تندهش، العديد من الدراسات أكدت وجود مخلوقات غير بشرية كانت على الأرض، مخلوقات ذكرت



في الكتب المقدسة لا أعلم حقا هل هي من سلالة يأجوج ومأجوج أم لا؟(*) في الإسرائيليات!.. مخلوقات انتهت بوجود الإنسان.. وهناك همزة وصل دائما بين الماضي والحاضر.. على سبيل المثال نحن لا نعلم أشكال الديناصورات إلا بعد الكشف عن وجود حطام من عظامها.. قمنا بتجميع أجزائها.. متصورين الشكل النهائي لهيئتها.. عن أشكالهم الحقيقة يا صاح.. ادرس كتاب العزيف.. (بلغتك العربية).. رغم من أنه لا يوجد له نسخة باللغة العربية.. أو كتاب (اينوخ).. بدون التدخل

(*) من (بدائع الزهور في وقائع الدهور) قال الحسن البصري إن يأجوج ومأجوج أصلهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج من الترك، قال وهب بن منبه: إنما سمى الترك تركا لأن ذا القرنين لما بنا السد على يأجوج ومأجوج كان منهم جماعة غائبون لم يعلموا ببناء السد، فتركوا خارج السد، فسموا تركا، وقال بعضهم إن يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين فاض منيه لما أهبط إلى الأرض فاختلطت تلك النطفة بالتراب، فخلق الله تعالى منها يأجوج ومأجوج، وليس هم من حواء، فأنكر بعض العلماء هذا القول وقال إنه ليس بصحيح. قال ابن عباس رضي الله عنهما إن يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء، والعالم جميعه جزء واحد وذكر صفاتهم. وقال السدى إنهم على ثلاثة أصناف صنف كالنخل الطويل حتى قيل إن فيهم من طوله مائة وعشرون ذراعا، وصنف منهم طوله وعرضه سواء يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، فهذا الجنس لا يترك وحشا ولا ذا روح إلا ويأكله، ومن مات منهم أكلوه، وصنف منهم في غاية القصر، فمنهم من طوله شبر وشبران لا يموت أحدهم حتى يرى له ألف ولد، وهم لا يحصون لكثرتهم. وقيل في الأخبار إن يأجوج ومأجوج يلحسون السد بألسنتهم حتى يروا منه شعاع الشمس إذا غربت، ويقولون إذا نفتحه فيأتون إليه في اليوم الثاني فيجدونه كما كان أولا في الشدة والسمك، وهذا دائم إلى قيام الساعة، فيلحسونه في آخر الزمان إذا جاء الوعد، ويقولون إذا نفتحه، ويقولون إن شاء الله، فلما يعودون في اليوم الثاني يجدونه مفتوحا فيخرجون على الناس ويسيحون في الأرض، ويأكلون الأشجار ويشربون الآبار، ويرمون الناس بسهامهم، ويفسدون على الناس معيشتهم، ويأكلون زرعهم، ويرسل الله عليهم الريح التي أهلك الله بها قوم عاد فيموتون في ساعة واحدة، وتنتن الأرض من جيفتهم، فيرسل الله تعالى طيورا فتلتقطهم وتلقيهم في البحر، قال الثعلبي إن الناس يلتقطون أسلحتهم من الأرض ولا يزالون يلتقطون ذلك سبع سنين.



في معتقدات دينية.. كتب عنه الساحر الشهير البريطاني (دانيال دي - denial de).. وكما ذكر في كتابه.. إنه تحاور معهم.. من خلال فك شفرة الطلاسم.. وعلم الكثير عن عوالم ما قبل البشر.. وأن هناك عشرين نوعا من المخلوقات الكونية أتت إلى الأرض.. تزوجوا من نساء الأرض.. أو كما يقال من الإنس.. أتى بعدها نسل شرير للغاية.. وذكي.. يقوم باستخدام ذكائه لتدمير البشر أنفسهم.. ويوما ما سوف يأتي قائد هؤلاء بنهاية الزمان.. يملك عين واحدة.. سوف يخلص الكرة الأرضية من جنس البشر بأكمله.. ليعود كل شيء كما كان.. لتعود الأرض لهم من جديد.. الرسومات تخص الماضي البعيد.. والاقتراب منها من قريب أو من بعيد يعرض الجميع للخطر.. وذلك تحذير قبل المضي في طريق بلا عودة.. أعلم أنك شغوف بعوالم ما وراء الطبيعة.. أما عن تلك الصورة.. لم يتم التأكد من زيف تلك الصور من كتاب العزيف حتى الآن!.. أنا أرجح أن كل كلمة وردت بكتاب الموت حقيقة.. وكل صورة تعبر عن أشكال مخلوقات أرضية.. وليست من الفضاء.. وإليك ترجمة ما بداخل الصورة المرسلة.. ولكن قبل إرسال الترجمة.. احترس من النساء.. أو احترس من أن تقرأها واحدة من الفتيات.. حتى لا تصبح كارثة.. فهناك من يقول إن نساء مصر تهتم قليلا بالسحر.. والطلسمة الآتية.. سوف تكون كارثة لمن تحمل قلبا قاسيا.. احترس.. تحياتي".

صديقك المخلص

بيتر ريتشارد.

اقشعر بدن أحمد بعد انتهائه من قراءة رسالة صديقه الأجنبي، قالت نرمين بمرح عجيب:



- من أخبره بأسرار النساء في مصر؟.

قالت كريستين بهدوء:

- قليلات العقل فقط هن المقصودات.

نظرت لها نرمين نظر مستعلية صارمة رافعة حاجبها الأيمن في تحد غريب.. فقال منير بمرح:

- لقد أثار فضول الأنثى صديقك يا أحمد..

قالت نرمين بسخرية:

- أنا لا أمتلك حب استطلاع يا منير..

قالت كريستين:

- ولا أنا أيضا.. إقرأوها إن شئتم.

قال أحمد بصرامة:

- إذن لن يقرأها أحد منا.. فلن نصبح من القوم المضللين.

غمز له منير قائلا:

- أتخبر الجميع أنك لن تقترب من تلك الكلمات المترجمة؟.

مط أحمد شفتيه ثم قال:

- ديني يأمرني بعدم الاقتراب من السحر والسحرة.. وإلا أكون من القوم الكافرين المضللين، قراءة تلك الطلاسم تعني الكفر يا صديقي.. ولا عجب عندما يحدث في وطننا العربي مثل تلك الأفعال الشيطانية من



الذين يحملون إيمانا ضعيفا وهشا، ولا يحملون أدنى أمل في رحمة الله.. فيذهبون لربط أحد الرجال، وغمس رأس إحداهن في الوحل، أو تكبيل أنثى، تسليط الجان لتدمير أحد الرجال في ليلة الزفاف. كلها أفعال من إنسان ضعيف لا يحمل أدنى أمل للوصول إلى الجنة، فيمهد كل الطرق نحو جحيم النار عن رضا واقتناع.

- لا تبالغ هكذا أنا لم أقل لك حل الطلاسم.. ولا تقم بعمل مراسم.. فقط أقول لماذا لا تعرف أسرار الكون؟.. أنت دائما تحمل شغفا غير مسبوق لمعرفة الأسرار الميتافيزيقية.. ربما لا تحمل سحراً وكل ما قاله مجرد ظنون لا تنتمي للحقيقة.

- أنا لا أقلل من شأن الآخرين يا منير.. بيتر يدرك الأشياء المسحورة جيدا... الموضوع برمته دخل في نطاق السحر....

- عجبا إن كنت تريد معرفة علوم ما وراء الطبيعة.. لماذا فقط لا تقرأ الترجمة.. عسى أن تعلم شيئا عن مخلوقات الماضي.

- صدقني يا منير لا يوجد، الورقة التي أرسلها بيتر لا يوجد بها سوى رسوم تحمل طلاسم عودة شيء ما.. وأنا لن أقع في أخطاء من مضى.. أنت لا تعلم شيئا.. هيا دعنا نعد أدراجنا.

- أنت حر!.. هيا لنعد العدة للرحيل.

- معك حق.. هيا.

* * *



أصرت زوجه المريض على حضوري إلى منزله أفضل بعد إصابته بنوبة تشنج مفاجأة؛ لذلك ذهبت إلى تلك الفيلا الواسعة.. تحديدا في غرفته الهادئة...

كنت أتصبب عرقا أمام ذلك الشاب فاحش الثراء، الذي كان في حالة ما بين النوم والصحيان..

حالة التنويم المغناطيسي الإيحائي.. قلت له بلهجة آمرة:

- عندما اطرق بأصبعي أفق وعد إلى وعيك.

طرك.. طرك.. طرك.

يفتح عينيه.. ينظر إليه في حالة تعجب قائلا بنبرة حذرة:

- هل أصبت فعلا بالجنون يا دكتور.

أتأمله بهدوء متخذا هيئة صارمة وحازمة:

- لا بأس بك ما دمنا نواظب على الجلسات بمواعيد منتظمة.. فأنت تسير على الطريق الصحيح لا تقلق.



ـ امم.. اااا.. ااا.. ماذا حدث لزوجتي أين هي؟!.

ـ بالخارج.. لا تشغل بالك تنتظر انتهاء الجلسة.

يتلفت يميناً ويسارا قائلا:

ـ أين منير؟.. صديقي منير.. أين باقي الرفاق؟.

جميعهم بالخارج.. ينتظرون فقط خروجي من هنا.

يقلب شفتيه كالأطفال.. قبل أن يتمسك بيدي فجأة في لهفة دبت في أوصالي الخوف والرهبة قائلا:

ـ هل انقلبت الأحداث في تلك الرحلة.. هل تسببت في إصابة أحد الرفاق؟.

قلت بتوتر بالغ:

ـ لم يحدث شيء.. عموما سوف أخبرك في الجلسة القادمة بكل شيء.

تراخت يده وتركني وعاد للنوم من جديد. فتحت ذلك الباب اللعين أتردد في سرد تلك الأحداث؟!.. ولكنه عملي.. أتممت جلستي لذلك اليوم.. وشعور الذنب يطوقني كأفعى الاناكوندا العملاقة عندما تعثر على فريستها الوحيدة بالغابة.. حتى بعدما غادرت منزله العملاق.. كان فيلا فخمة.. تأملت جوانبها ولا أنكر انبهاري بالثراء الفاحش، حتى عندما دلفت جوار الجراج الكبير، أنظر إلى تلك السيارة العملاقة متسائلا من يقودها؟.

أهي سيارته أم سيارة أسرته الثرية؟.



كيف يتركون الفقير يتسول في الشوارع ليلا لا يجد قوت يومه، أصحاب تلك السيارة بالداخل ينامون ملء الجفن.. تبا لهم حقا؟.

ذلك الشعور يقودني لتكملة المسيرة تجاه نجاح تلك الجلسات.

أبدوا كحاقد.. ناقم.. حقير.

لا بأس.. فبعد انتهائي من تلك المهمة سوف أمتلك بالتأكيد سيارة فارهة كتلك السيارة.

ذلك المريض متجاوب معي إلى أقصى درجة..

يساعدني كثيرا..

الوضع سهل على ما يبدو.

فلا بد أن تبتعد فكرة الفشل من أمامي.. عاجلا أم آجلا سوف أصبح ثريا.

بضعة أيام فقط.

هناك خطر يتصاعد رويدا رويدا.. ولا أجد موضعه حقا؟!.

لقد كان صوت زوجته بالخارج، صوتها يعلوا بنبرة صارمة..

كأنها تلقن أحد الخدم أمرا ما؟.

أو ذلك الرجل الآخر؟.

لكن كل الأمور تشير إلى ضعف شخصيتها مع قله الذكاء، وتداري كل هذا وراء رفع حاجبها الأيمن في تحد!.



كائن هش أكثر من اللازم.. وبسبب ذلك الكائن أفعل ما أفعل الآن.

يا للمسكين!؟

لقد وقع فريسة لمن لا تعرف الرحمة؟.

ولا أدنى أمل في النجاة منها؟.

نم أيها المسكين؟.

لقد حقنته بمادة منومة أحضرتها زوجته من قبل.

الأبواب تطرق..

تدخل هي..

تتطلع إليه بكل براءة..

تملس على شعيرات رأسه بكل حنان.. تطبع قبله على جبهته بحنان غريب؟.

لا تبالي بوجودي.. لذلك قلت بهدوء:

- الجلسة القادمة في عيادتي.. لن آتى إلى هنا مرة ثانية يا سيدتي.. من أجل الخدم.

تطلعت إلي بنظرات خاوية كالمسحورة.

أماءت برأسها بالموافقة دون أن تصدر أدنى كلمة!.

* * *



الجلسة الثانية



بلا شك جريمة مبتكرة تليق بذلك الشاب الخيالي..
سوف أجنى أرباحها فور انتهائي من أداء تلك
المهملة.



وفي تلك الأثناء.. ومجموعة البشر يفترشون تلك القطعة من الغابة.. كان على الجانب الآخر من الغابة العجوز الأحدب يفكر وهو جالس برفقة الصغار، وكأن على رؤوسهم الطير، ترقبوا ردة فعل الحكيم المنظم.. ينظر إلى لا شيء!.. ربما شارد.. وربما يخطط لشيء ما؟.. لم يدروا!، فقد اعتادوا على الإنصات له منذ أن عرفوا أن للدنيا شمس تشرق بالصباح.. وقمر يأتي عندما تغرق الشمس في الأفق..

وذلك العجوز.. فقط!..

قال بالهدوء الذي يسبق الرعد:

ـ قتلوا جاليوس.. جاليوس الصغير؟!.

تسرع أحد الصبية قائلا:

ـ هل أتحول إلى حنش كبير وأقتلهم جميعا.

نظر العجوز وقد اشتعلت عيناه اشتعالا مخلفا لهبا أحمر:

ـ تلك من العجلة.. وأنا لا أريد العجلة.

صمت الجميع.. مترقبين.. حتى تشعر وكأن الجملة الآتية سوف



تحمل لهم كارثة.. قطع السكون صوت أزيز صرصور يدعى (جراد).. وقبع الضفدع في مكمنه خوفا من صوت العجوز الأحدب:

- كنا نلهو منذ قليل..

مشيرا إلى صغير برئ.. مكملا:

- ذلك جزاء من يقتحم حياة البشر.. يقتلون الثعبان لأنهم يعتقدون ويثقون بأنه سوف يفعل بالحسناء شيئا سيئا..

يسارعون للقتل دون معرفة سبل حياة ذلك الكائن الضعيف.

وقف المعلم يلقن درسا آخر للصغار قائلا:

- من يدافع عن بقائه من وجهة نظر البشر خطر.. هكذا أيها الصغار سوف ننتقم لجاليوس.

قال أحد الصغار:

- كيف هذا؟.

عجوز مثله خبير في ذلك المضمار الجميع يثق في هذا.. لذلك تحول إلى كيان آخر إلى شيء مخيف.

بالنسبة لبني البشر.

* * *



كان أحمد يشعر بغصة مما حدث في تلك الأوقات.. فلم يكن شعوره أقسى من شعور منير، وشعور الغل الدفين الذي كان يلتهب أكثر وأكثر تجاه كريستين.. تمنى لو انشقت الأرض وابتلعته حينما تجرأت وفعلت فعلتها.. فقط تحامل على نفسه لإرضاء غرور الأنثى.. ورسم صورة الزوج الوفي الذي لا يوجد مثله أمام نرمين.. مثلما فعل أحمد.. حبكة نفسية معقدة تشعر بها كريستين.. ها وقد انتصرت في معركة الأنثى.. بعدما غمس أنوثتها منير زوجها في العلن أمام صديقه وزوجته قائلا دون حرج أنها امرأة (تافهة).. ورد الصاع صاعين بتلك الصفعة.. شعرت وهي تلملم الأغراض بطاقة رهيبة من (المقت).. شعورها المرح اختفى تماما، وحل محله شعور المقت في نفس الوقت لتلك المرأة الأخرى التي يعشقها صديق زوجها.. وتنوي عندما تعود من أعماق تلك الغابات فعل المستحيل لقطع علاقة منير بأحمد.. وهي قادرة على ذلك.. فلم تفلح في كيدها الذي لم يأخذ وقتا، وقد هدمه الملقب زوجها الغبي.. هكذا كانت تردد بداخل عقلها.. وضعوا الحقائب.. حشروا أنفسهم بالسيارة.. يدور داخلهم مشاعر مختلطة ما بين الغيظ والكره والحب وضعف الشخصية.. إلا أن رغبتهم جميعا اجتمعت أخيرا في الرحيل.



أدار أحمد المحرك.. لا شيء!.. لا شيء مطلقا!!.. لا يوجد صوت للمحرك.

هب منير ليفحص السيارة بالأمام..

قال بأسف:

- يبدو أن السيارة لا تمتلك طاقة كهربائية.

انصعق أحمد وهو يقول:

- كيف هذا؟!.. السيارة جديدة.. قمت بالكشف عليها قبل القيام بتلك الرحلة.. مستحيل.

- ذلك ما أراه.

- تبا.. ماذا سنفعل الآن؟!.

قالت نرمين بداخل السيارة:

- اتصل فورا بالنجدة.

أما كريستين وكأنما الأمر لا يعنيها.. وهى تنظر إلى المرآة.. تنسق شعيراتها.. كأنما تعلن أنها دائما في أمان طالما منير جوارها.. ربما أطلت ناظرة على ما يفعله زوجها خارج السيارة للحظات بطرف عينها. وعادت تنظر إلى المرآة مرة أخرى.

اختطف أحمد هاتفه النقال.. دهس على أرقام النجدة بصرامة قائلا:

- "سيارتنا معطلة.. نحن في غابة بالمنطقة ( ).. غربا.. بجوار نهر يفصل بين الغابتين.. حسنا.. ولكن أسرعوا".



"ادخل السيارة الآن يا منير إنهم في الطريق"

وصمتت الغابة في ظلال الليل الأسود.. غرق النهار بأكمله في الجانب الغربي.. ليعلن ظهور قمر في نوبتجية رحيل الشمس.. لذلك ظهرت الغابة بشكلها الكئيب المخيف.. رغم بعض من أنوار القمر الخفيفة. الظلام كان ضيفهم في تلك الأوقات؛ لذلك تغيرت ملامح منير المرحة إلى صمت وقلق، فلا يوجد كلمات تقال في مثل تلك الأوقات..

ولكن لابد له من تحسين موقفه قليلا، فقال بمرح كعادته:

- ماذا يحدث لو هب شيء عجيب مخيف.. ذو أنياب حادة.. وعيون مشقوقة.. حقا سوف نموت هنا.. ها ها.

نظر له أحمد مبتسما قائلا:

- إذن سوف ألقي بك من النافذة ليتغذى عليك أولا.

قالت كريستين بسخرية:

- وهل يوجد ما هو أشهى من لحم رجل سخيف كزوجي.

اكتفت نرمين بابتسامة خفيفة وضعتها على شفتيها كأنها تعلن ضيقها من هؤلاء حثالة البشر.. ولم تحاول النظر إلى مرآة السيارة الأمامية لرؤية وجه كريستين.. فقد أعلنتها سابقا في الخفاء، ولن تفهم الأنثى غير الأنثى.. إنها تمقت تلك الفتاة.. كلاهما لا يتقبل الآخر... لكنهن في وضع حرج.. يجب عليهم الآن تقبل الأمر.. إلى النهاية.

❋ ❋ ❋



"القمر يبدو مكتملا".

قالها أحمد متأملا ضوء القمر الذي بدد القليل من ظلام الغابة، وتلك السحب العابرة التي أخذت بالمسير إلى ما لانهاية، متخذة عدة أشكال ملهمة أجبرته على قول:

-يقول شكسبير(*) على لسان (هاملت): هل ترى أن السحابة القائمة هناك لها هيئة الجمل إلى حد كبير؟ ثم يقول: يخيل إلي أنها تشبه الحوت!. أنا أراها تحمل وجه رجل عجوز.

(*) شكسبير: وليَم شكسبير شاعر (يصنف كأعظم كاتب في اللغة الإنجليزية) وكاتب مسرحي (يعتبر كاتب مسرحي بارز) إنجليزي، دائماً يسمي بـ"شاعر الوطنية" و"شاعر افون المللحمي" اعماله موجودة وهي تتكون من ٣٨ مسرحية و١٥٨ سونيته واثنين من القصص الشعرية وبعض القصائد الشعرية، وقد ترجمت مسرحياته إلى كل اللغات الحية واعماله وتم تأديتها اكثر بكثير من مؤلفات أي كاتب مسرحي آخر شكسبير شاعر وكاتب مسرحيا محترم في ايامه ولكن لم سمعته لم ترتفع إلى ارتفاعها الحالي حتى القرن التاسع عشر والرومانسيون على وجه الخصوص والمشهود لهم عبقرية شكسبير واعتمد عمله مرارًا واعيد اكتشافها من قبل الحركات الجديدة في التدريس والاداء ولا تزال مسرحياته تتمتع بشعبية كبيرة حتى اليوم وتتم بشكل مستمر دراستها وتنفيذها واعادة تفسيرها في مختلف السياقات الثقافية والسياسية المختلفة في جميع انحاء العالم.



نظر لنرمين مبتسما بحنان.. وداعب وجهها الأملس بعدما اطمأن أن منير وكريستين مغمضي العين من الإرهاق.. ناما.. أبعدت نرمين بقلق وجهها عن يد أحمد.. اندهش أحمد فقال خافتا:

ـ ما بك؟!.

قالت بنفس الصرامة الخافتة:

ـ بسبب إصرارك.. أرأيت ما حدث اليوم؟!.. أنت السبب.. أنت السبب.

نظر إلى الأمام وكتم غيظه.. ناظرا إلى عمق الغابة الأسود الذي يخيل للمرء أنه يحمل وحوش الكون المخيفة آتية من بعيد.. ولم يعطها ردا.

تركها تطلق جملتها بحزم صارم:

ـ قلت لك ألف مرة نذهب للعشاء بأحد المطاعم.. وأنت تصر على الذهاب مع ذلك الأحمق.

وهنا التفت إليها بصرامة قائلا وهو يجسم على أسنانه بغيظ بنفس الخفوت:

ـ اصمتي.

وضعت يديها أمام صدرها بعناد.. ولم تمر أنصاف الساعة.. حتى لحقا بمنير وكريستين.

ذهبا في نوم مرهق.

* * *



"تلك اللعينة.. إنها تكرهنا".

قالتها كريستين بغضب وبصوت خافت.. وهي تنظر لنرمين النائمة بكل حقد شيطاني تجاه بني آدم!.

بعدما لم يغمض لها جفن عند أول كلمة نطق بها أحمد.. مثل الذئاب ادعت النوم وأنصتت لحديثهم بعدما اطمأنت أن نرمين وأحمد ناما، تحمل شغفا للتنصت، تنتظر أحاديث لم تقال بعد.

قال منير بنفس الصوت الخافت:

- هل كنت تتنصتين.

- بالطبع لا!.. ولكن كان صوتها مسموعا.

- لا أريد سماع شيء.

- أيها الأبله.. تلك السيدة تكرهنا.. منذ رؤيتنا.. بدون سبب ما.

- ذلك ليس شأنك.. نامي.

- وذلك ليس من شأنك.. نام أنت أيها الأحمق.



رد منير بغضب هائل وبنفس الغضب الخافت:

- ذلك الغبي الذي صفعتيه أمام الجميع.. لن يكون مثلما كان بعد الآن أيتها اللعينة.

أحنت شفتيها السفلى في سخرية قائلة:

- ماذا تفعل؟!.. تطلقني؟!.. لا يجوز أيها الغبي!.

- ولماذا لا أقتلك.

توترت ولانت ملامحها، لم تتصور أن تصل علاقاتهما إلى ذلك الحد.. مكملاً منير:

- منذ زواجنا.. وأنا لم أر يوما معتدلا معك.. مشكلات لا تنتهي.. وإذا كانت العقيدة لا تسمح بالطلاق.. لماذا إذن لا أقتلك.

واختفت معالم الأنثى الساخرة، فقلت بنبرة قلقة:

- أنت تمزح أليس كذلك؟.

أعاد رأسه إلى الخلف مغمض العين.. قائلا:

- نامي.

تقشعر بدنها.. وصرخات مدوية في عقلها قلقة.

هل يقصدها؟.

وذهبا هما الآخرين في سكون النوم.. وفي ظل السكون الرهيب للسيارة..



والسحب الداكنة التي احتوت ضوء القمر.. أضاءت شاشة بوميض بدد الظلام داخل السيارة من اللاب توب التابع لأحمد... بداخل السيارة!.. هناك من يتمتم..

هناك أصوات خافتة..

هناك من يفعل اكبر الأفعال الخاطئة على الإطلاق!؟...

من؟.

* * *



"تظن إنك وغد كبير؟.. اذهب إلى الجحيم".

تقدم هيثم نحوها محاولا لمس يدها.. ذلك الشاب الذي كان يذوب فيها عشقا أيام الجامعة..

وعندما علم بزواجها أسرع في لهفة طلبا رؤيتها..

وعندما حانت لحظة كان يتمناها.. ابتعدت عنه في عناد.. بعدما تقدم أحد الرجال الأغنياء وأحاط إصبعها بخاتم الارتباط الأبدي.

ـ نرمين أنت تعلمين من المخطئ.. تسرعت كثيرا بالزواج من ذلك الغبي!.

ـ ذلك الغبي أصبح زوجي.

ـ لماذا؟.

ـ ألا تدرى لماذا؟.. بعدما خضعت في انتظار تشريفك لرؤية أبى وطلب يدي.. وحجج كثيرة انهالت على مسامعي.. غير مستعد.. لن أستطيع الآن.. انتظريني.. ماذا تريدني أن أفعل ها.. ماذا؟!.

قطب جبينه في حزن قائلا في أسى:



- نرمين.. كنت أريد معرفة مدى حبك لي.

قالت بسخرية:

- حبي لك ها ها.. ألا تعلم مدى حبي لك.

نظر لها راسما مسحة الحزن:

- لا لم أعلم.. فقط علمت أنك تسرعت وقتلتني.

لانت ملامحها وبنظرة كره ممزوجة بحب قديم:

- أنا أحببتك اقسم لك.. ولن أسكت أفواه البشر.. لماذا ترفض هذا وذاك؟!.. كان لا سبيل لي سوى القبول.

- لم تعطني بضع قطرات من الفرصة لأثبت حبي لك.. تسرعك الأهوج كان كفيلا.. ولكن لا لوم بعد الآن.. أنت بعصمة رجل.

لكمت كوب الماء.. وقع وتحطم قبل أن تقول بعصبية:

- حسنا.. وماذا تريدني أن أفعل؟.. انتهى الأمر.

- لا لم ينته.

أمسك يدها بدفء مكملا:

- كل شيء قابل للتغيير.

ارتعدت يدها قليلا.. قبل أن تستسلم لحب قديم.. إنها لا تحب أحمد.. لا تحبه.

قال بهمس:



ـ افعلي شيئا يجعلني أشعر بداخلي بحبك الكبير.. أي شيء...

فتحت عيونها فجأة لتجد أنها لا تزال داخل السيارة يجاورها زوجها نائما، أطلت دمعة حارة في صمت عبرت بهدوء أسفل خدها الأملس الأبيض.

التقطت أنفاس تلقب بـ (الشحتفة) المريرة.. وهي ترقب صمت الغابة.

وتفكر..

* * *



جالس منير بدار ممتلئة بالحسناوات.. يزدهر شرب الخمر والمجون بين نساء ورجال.. يتمايلون ميلا على صليل موسيقى صاخبة.. كانوا يرقصون وكأنهم كتلة واحدة.. كانت في ذلك المربع الراقصة تميل ميلا حسنا على منير قائلة بدلال:

- القمر ماذا يريد اليوم؟.

قال بمرح معتاد:

- يطلب ما يريد أيها القمر.

تحولت عيونها إلى الأبيض المخيف.. وهى تتراقص على أنغام موسيقى صاخبة..

- (كم أنت مذهلة).

تجمدت أوصاله عندما لامس يدها سعيا ليقربها منه أكثر وأكثر..

فوجد شعيرات سوداء بجسد الفتاة.. وأنياب برزت أسفل شفتيها الحمراء.. ومالت تحاول سن أنيابها بعنقه.. وفجأة.. تحول المكان إلى الغابة.. وجد على جوف البحيرة.. فتيات حسناوات.. جرى راكد



نحوهن.. وقبل أن ينطق.. برز أحمد كنسمة هواء ساخنة.. ممسكا يده.

"دع يدي يا رجل".

"أنت متزوج ولن أسمح لك بخيانة زوجتك".

"ذلك شأني ما دخلك أنت".

وارتمى في أحضان الفتيات..

اخرج أحمد مسدسه قائلا بصرامة:

-لم تدع لي فرصة إذن.

صرخ منير قائلا:

"ماذا ستفعل أيها المجنون.. تقتلني".

أفاق منير متصببا عرقا.. ناظرا إلى كريستين بصرامة امتزجت بحقد.. وراقب أحمد جيدا.

* * *



وقفت كريستين تترقب وصول سيارة الأجرة.. توقفت إحدى السيارات البيضاء، خرج السائق بتهذيب واحترام وكأنها ذات منصب رفيع بالدولة.. يفتح لها باب السيارة الخلفي.. تقدم في سرعة لقيادة السيارة مرة أخرى.. ينظر لها عبر المرآة بريبة.. ثم ينظر إلى الطريق.. ارتابت في أمره.. فقالت بضيق:

- (قد باحترام.. ما بك؟!).

قالتها كريستين بصرامة للسائق.. الذي تغيرت ملامحه إلى الهدوء الرصين آسفا وهو يقول:

- عذرا آنستي.. أنا فقط أرك تشبهين شخصا مقربا.. سامحني.

أشاحت بوجهها ناظرة للطريق..

وإلى كومة السيارات التي تصدر صريرا أمامها..

قال السائق بود مصطنع:

- لقد وصلنا يا آنستي.. المدينة البيضاء أمامنا.

- (أنا لم أقل أية مدينة بيضاء..)...

نظرت إلى النافذة بدهشة اتسعت لها عيناها..



اللون الأبيض بالمباني والسيارات.. حتى البشر.. حتى تكوينهم.. عيونهم.. الأيدي اصطبغ كل شيء باللون الأبيض.. ما يميزهم فقط لون بشرتهم المختلف.

- (إنها المحطة الأخيرة.. هيا اهبطي من السيارة).

فتحت باب السيارة..

تقدمت إلى منتصف ساحة بالمدينة..

تقدم نحوها رجل طاعن في السن.. يقول بصرامة:

- عودي اليوم.. الموعد اليوم.

وجدت أحمد ومنير أمامها قرب مسافة متر واحد.. ناظرين لها بهدوء..

رمقها أحمد بصرامة أكثر.. أشار لها بصرامة قائلا:

- الآن.

وجدت نفسها تقع من أعلى جبال كبيرة.. تقع.. فتحت عيونها في لهفة.. لهفة العودة مرة أخرى للحياة أخذت شهيقا كبيرا وكأنها خرجت توا من بحر واسع بعد فقدان قوارب الأمل والنجاة.. نظرت إلى منير... بنظرة تأسف وكأنها تدين له بالفضل، لولا وجوده بحياتها لهلكت.. تحسست وجهه بحنان..

ثم نظرت إلى الغابة..

نظرة حملت شيئا غامضا.. قبل أن تغلق عيونها.

* * *



أفاق أحمد من ثباته العميق.. نظر بالجانب الأيمن ببطء.. نرمين اختفت؟!.. نظر خلفه..

منير وكريستين أيضا اختفيا؟!.. اندفع خارج السيارة.. راقب حافة البحيرة..

اخذ يصرخ (نرميييين... منيييير).. (أين انتم؟).. (كريستيييين)..

جوابه صمت الغابة.. راح يشق ظلام الغابة.. باحثا عنهم.. عن آثارهم..

في أنحاء الغابة الواسعة.. راقبته من بعيد بومة بعيونها الثاقبة..

التي رأت كل شيء..

* * *



(حتى هواتفهم النقالة مغلقة.. تبا!!!!!!!!)..

قالها أحمد صارخا.. بداخل عجلة القيادة..

ـ (ليتها كانت تعمل ليتك تعملين.. ما كنت فقدتهم أيتها الغبية).

قالها بصرامة.. وهو ممسك بمفتاح المقود.. وأدارها.. وانصعق.. لقد دارت السيارة..

ـ (ما هذا الهراء؟).

(من يتلاعب معي؟).. (أين ذهبوا؟.. أين ذهبت؟).

وكالذي أصابه مس من الجنون.. بجوار البحيرة اللاب توب.. ملقى على رمال البحيرة.. أسرع يتأكد من سلامته.. تأكد أن الماء لم ينفذ عبر فتحاته.. الشاشة مضاءة.. يظهر أمامه ترجمة الطلسم الذي حذر منه(منير).. عودة الشر المظلم.. جوارها برنامج تشغيل الصور التذكارية.. إنها الصورة التي وجدها بالمعمل..

ـ (ماذا فعلتم؟).

ـ من فعل هذا؟.. أنتم أغبياء.. أغبياء.

* * *



الشرطة أتت تمشط المكان بأسره.. كنافورة من الصراصير السوداء خرجت من البلاعة، تبحث عن أجزاء لصرصور وغد ترك قدمه توا. يخرج هاتفه النقال.. ليدع الشرطة ترى وجوه المختفين.. لا يوجد صورة واحدة تحمل وجه زوجته أو منير أو كريستين.. وجه الضابط سؤالا قائلا:

- أين صور المختفين؟.

توتر أحمد بخوف.. فقال دون النظر إلى وجه الأخير:

- لا أحمل صورة لهم.

- ألم تقل إنك تحمل صورا لهم يا رجل؟!.

- نعم بالفعل.. ولكن انظر بنفسك.. هذا هاتفي!!...

- أأنت ثمل؟.

- لا.. أقسم لك.

بصرامة قال الضابط:

- أرني دليلا على أنك كنت برفقة أحد أيها الرجل.



وجد طوق النجاة.. أخذ يفتش في البطاقة الشخصية.. قائلا:

ـ معي عقد القران.. انتظر قليلا أنا أبحث.. أنا أبحث.

نظر إلى يده اليسرى.. لا يحمل خاتما.

صعق.. لا يحمل سوى بطاقته الشخصية.. فقط.. وبضعة نقود.. هتف الضابط لجنوده:

ـ احملوا ذلك الرجل إلى السيارة.

أخذ في مقاومة أيدي الجنود.. صارخا.. (صدقوني لست مجنونا.. لقد كانت نرمين زوجتي ومنير وكريستين معي.. صدقوني).

وضعوا أساور حديدية في يديه.. وذهبوا به بعيدا عن الغابة.. التي شعر أحمد أنها تبتسم ابتسامة.. تحمل الظفر!.. أو.. لا شيء مطلقا.

* * *



بداخل زنزانة رطبة يجهش الشاب في بكاء صامت.. بجواره رجل بلحية كثة، مشتعلة باللون الأبيض، متدلية إلى منتصف صدره، وكأنه لم يقم بحلاقتها منذ مولده.. يبدو كشيخ كبير يبلغ من العمر تسعين عاما على الأقل، لكنه يملك قدمين ثقيلتين غير قادرتين حتى على حمله، التصق لحم جسده بعظامه في حسرة.. الرجل هش في الحركة.. تحرك نحوه وكأنها آخر حركة يقوم بها جسده.. وهو يربت على كتف أحمد بحنان كبير قائلا:

- لا تبك يا ولدي.. فجميعنا يدخل ذلك السجن ظلما.

نظر له أحمد بوجه يحمل العتاب واللوم.. ولم ينطق.. فجلس الرجل الكبير أمامه وقال:

- ما جريمتك يا ولدي؟.

- إزعاج السلطات.

- إذن لم تقتل أحدا؟! خيرا.. خيرا.. بالتأكيد يا ولدي.

ثم تردد الشيخ الكبير برهة وقال:

- أيمكنك الهدوء قليلا.. وأن تقص علي لماذا قمت بإزعاج السلطات؟.



تردد أحمد كثيرا.. وبعد حسم الأمور.. وكأنه يشرح الأمور لنفسه قائلا:

- ذهبت في رحلة مع زوجتي وصديق وزوجته اختفوا.. و...

وبعدما انتهى من سرد الأحداث..

نظر له الشيخ طويلا.. واضعا يده اليمنى على لحيته في تفكير.

أكمل أحمد:

-لقد أعطيتهم بيانات زوجتي وصديقي والعناوين، ولم يجدوا أحدا.. فقط.. كأنني كنت أحلم.

- تذكر يا ولدي جيدا.. أكنت ثملا؟!..

- اقسم لك أنا لا أحتسي الخمر.. أنا طبيب أقوم بأبحاث مختلفة.. أهذه هيئة رجل يحتسي ما يذهب العقل؟!!.

قال الشيخ بهدوء:

- قصصت على مسامعي أنك وجدت صورة بمعملك.. من وضعها؟.. ومن الذي حل الطلسمة؟.. الأمور التي حدثت لك غير طبيعية يا ولدي.. ويبدو أن رفاقك في عذاب مؤلم.. يجب أن تعثر على تلك الورقة.. وتقوم بعكس الطلسمة.

انصعق أحمد لكلماته قائلا:

- وما أدراك؟!.

-لي العديد من تجارب السحرة.. والمشعوذين.

وقف أحمد مستندا إلى الجدار الحديدي.. واستعاد حكمة الطبيب..



وهو يراقب الشيخ.. الذي توحي هيئته بأنه على مشارف الموت.. فقال الشيخ بهدوء عجيب:

ـ كم تبلغ قيمة الكفالة؟.

ـ لماذا؟.

ـ قل فقط!.

ـ ثلاثة آلاف جنيه.

غمس يده بجوربه.. وقام بإخراج بضعة نقود.. وأعطاه المبلغ.. قال أحمد بدهشة:

ـ لماذا تعطيني ذلك المبلغ؟.. ومن أين لك مبلغ مثل هذا؟.. ومن أنت يا رجل؟!.

قال الشيخ مبتسما:

ـ لا تقلق يا ولدي.. لست لصا.. فقط أنا هنا من أجل شيء آخر لعين.. ولن أخبرك.. فقط أسرع زوجتك في خطر.. لا يوجد خيار.

تردد أحمد.. ثم ما لبث أن استسلم.. الضرورات تبيح المحظورات.. لا مزيد من الاستفسار فوق هدفه الوحيد.. رغم عدم منطقية ما يحدث حتى الآن.

هتف للجندي قائلا:

ـ أحمل الكفالة.. أخرجوني من هنا.

* * *



(من أين أتيت بتلك الكفالة؟).

قالها الضابط بصرامة موجها حديثة لأحمد.. الذي توتر قائلا:

- كنت احتفظ بها بجيب خفي قمت بشرائه من الولايات المت......

قاطعة الضابط وهو يدون شيئا في ذلك الدفتر الكبير:

- لا تقص علي شريط حياتك.. أنصحك لا تتعاط شيئا.. اشكر ربك أننا لم نقم بفحص دمك وألا كانت تهمتك أكبر.. هيا ضع اسمك هنا.

وقبل قيامه بالخروج من ذلك السجن قال لأحد الجنود بنبرة خافتة:

- ما تهمة الرجل الذي كان مجاوري بالزنزانة؟.

اندهش الجندي قائلا باستنكار:

- لم يكن بجوارك أحد؟.

- كيف إنه كان شيخا كبيرا بلحية.

- أقسم لك لم يكن أحد بجوارك.



وفي تلك اللحظات بالزنزانة الحديدية.. وقف الشيخ منتصبا.. حملت شفتاه ابتسامة عريضة.. واختفت حدقتاه السوداء.. بل واختفت عيناه.. وحل مكانهما لون أبيض.. وتحول إلى هيئته الحقيقية.. ثم... اختفى...

* * *

أحضروا المريض إلى عيادتي الخاصة التي تقبع بذلك الحي الشعبي... الأمر منهك بحق.. لقد أخذوا المسكين وذهبوا فور انتهائي من الجلسة.. ربما أتعاطف معه كثيرا الآن، عندما قمت في أول جلسة بالاستماع إلى شكواه.. لقد ظننت في بادئ الأمر أنه صبي صغير تائه يبحث عن أمه في السوق.. لماذا يفعلون بشاب مثله كل تلك الأمور؟. هل ما أفعله صواب؟!. ضميري، صوت ضميري. وحتى تاريخي يزداد على سطحه الغبار. كل شيء يروض ويخضع الآن. كل شيء. حتى ذلك الشاب. رغم سهولة الأمر.. وسيره وفق إرادتي. ينتابني قلق عجيب!.



الجلسة الثالثة



"الشيطان تلاعب بعقله.. ولا مفر من ذلك المصير.. خطأه اختياره السيئ في حياته.. ويل لهن.. ويل".



أخذ يركض مهرولاً.. بعيدا عن ذلك السجن ذاهبا إلى حيث يقبع منزله، انصعق وتصلبت قدماه عندما وجد أشكال المباني المعمارية اختلفت في تلك المنطقة؟!.

تبدلت.. حمل هاتفه النقال.. ليرئ بوصلة الطريق، العجيب أنها تلك المنطقة بالفعل.. التي يكمن خلفها منزله. ولكن أين منزله؟!..

ينتشر حول البقعة عشب أخضر كثيف.. ينبت حولها شجيرات عالية.. استند إلى حائط.. قائلا بانهيار:

ـ (ماذا فعلتم؟.. ماذا فعلتم؟).

كأنما يحدث نفسه:

ـ لا!.. يجب أن أهدأ.. يجب أن أتحلى بالصبر.. آأخذ نفسا عميقا.. لعله حلم.

أغمض عينيه.. أخذ شهيقا وزفيرا ليسترد بعض الهدوء.. نظر حوله.. القليل من البشر، بل الندرة منهم يسيرون:

ـ يجب أن أتخذ رد الفعل المناسب.. يجب أن أجد تلك الصورة اللعينة.. أعكس الطلسمة..



يعود كل شيء مثلما كان.

تقدم رجل يبلغ من العمر الثلاثين تقريبا، مهيب الطلعة.. يرتدى حلة سوداء.. وكأنه يعرفه منذ زمن.. اقترب منه قائلا باهتمام:

- مستر أحمد.

استوعب أحمد الموقف جيدا.. إنه يعلم بوجود خلل ما!.. ليس بحلم؟.. إنما يدرك ما حوله طبيعي.. ولكن هناك خللا غير معلوم!. في النهاية يجب أن يسيطر على الأوضاع.. كل ما حوله حقيقي هذا ما يبدو.. ويجب أن يتعامل مع الموقف كما هو. استطرد أحمد قائلا:

- هل تعرفني.

ابتسم ابتسامة لم ترح قلبه قائلا:

- سخيف كما أنت.. ألم تتغير؟!.

أحنى شفتيه في ضيق قائلا:

- لما العجب وكل شيء من حولي تغير؟!

قال الرجل باهتمام:

- تبدو منهكا؟!.. سوف أظل جوارك.. حتى أصل معك إلى المنزل.

تردد أحمد.. كم يمقت عادة التردد تلك.. درس الوضع يبدو حكيما الآن.. إنه في حاجة إلى مرشد.. لعلة انتقل إلى عالم مواز.. أو زمن آخر.. أو.. أو.. في كل الحالات هو بحاجة لمرشد.. قال هو يتحسس موضع شيء ما برأسه:



ـ لقد قام اللصوص بضربي بعصا سميكة.. أفقدتني الذاكرة مؤقتا.. تحمّلني قليلا يا صديقي.. ألست صديقي؟!.

قال الرجل بأداء باهت متقنا دور الصديق المواسي:

ـ بالطبع! سوف أساعدك يا صاح.. أمسك يدي حتى لا تسقط، وقم سوف أجلب لك المساعدة.. فلنذهب إلى أقرب قسم للشرطة.. هل تعرف أوصافهم.

ـ لا.. لا.. لقد تم القبض عليهم لا تشغل بالك.. فقط أرشدني إلى مكان العمل الخاص بي.

اتسعت عينا الرجل قائلا:

ـ أنت تتذكر أشياء.. ماذا تتذكر أيضا؟

ـ القليل.. فقط صلني بذلك المكان.

ـ إنه بالجوار.

ـ إذن هيا.

ذهبا معا نحو ذلك الطريق الأسود.. كلاب سوداء اللون تظهر على جانب الطريق.. بعيون لامعة.. الزبد يتساقط من فمها.. في تحفز للانقضاض واضح على أحمد.. فقط؟.. لم تلبث أن هرعت مسرعة مبتعدة عن ذلك المكان.

ـ إلى أين؟. لقد كنت هنا منذ قليل.. وذلك الطريق لا يحتوي على منازل.. قف يا رجل!.



ارتعد أحمد عندما أمسك بذراع الرجل.. أشبه بذراع من الخشب الثقيل.. فنظر له الرجل في هدوء قائلا:

- منزلك يقبع هنا.

- أين؟!.

- بداخل تلك الأراضي الخضراء هنا.

- تبا لك يا رجل.

- لا تصدقني!.. ها ها، فقط دعنا نكمل.

ضحكاته الساخرة جعلته يشعر بتوتر أكثر.. ورغم ذلك فقد استمر في السير.. ردد بداخل جمجمته (هل يوجد بشري واحد.. يحمل أذرع مثل تلك..). وما أن تقدمت أقدامهم نحو مقدمة الأرض الدائرية الخضراء..

حتى لاحت مقدمة شجيرة صغيرة بين الأغصان.. قال الرجل:

- ابتعد أنت قليلا.

ثم قال كلمات لم يفهمها.. كلمات كطلاسم.. رجف قلبه حتى كاد يصرخ للهروب من قفصه الصدري..

لقد خرج من باطن الأرض كائن عملاق.. كأنما يحلم الآن.

كل شيء غير منطقي على الإطلاق.

عندما وقعت عيناه على ذلك العملاق يشبه إلى حد ما تكوين البشر من حيث الجسد والوجه الكبير والأطراف..



إلا عيناه كانت بيضاء.. يحمل نقوش الشجر.. وكأنها الأشجار تتحول إلى تلك الهيئة.. قال له الرجل:

- افتح البوابة.

كالمسلوب الإرادة.. موليهم ظهره.. تقدم إلى الأمام في بطء كالسلحفاة.. وضرب الأرض بكلتا يديه..

محدثا هزة أرضية قليلا.. أنشبت الرعب بالقلوب.. ثم انفتحت الأرض.. إثر اللكمة.. محدثة فجوة تسمح بمرور الأجساد.. قال الرجل بهدوء عجيب:

- هيا لنذهب.

- لا.. لا أريد.

اندهش الرجل.. فقال بصرامة:

- ذلك منزلك.. ولقد قمت بمساعدتك.. ألا تتذكر شيئا بعد؟!.

هرش بمقدمة رأسه كطفل في أول أيام اليوم الدراسي.. وقال:

- لست أدري شيئا!.

- فقط ثق بي.

(من أين تأتى الثقة برفقة وغد مثلك؟)..

قالها بعقله وقد قرر أن يتقدم نحو فتحة ذلك القبر..

أمسك الرجل ذراعه بصرامة:



- ماذا قلت؟!.

- لا شيء.

ترك ذراعه وقال بأسف:

- عذرا.. خيل إلي سماع شيء ما.

هبطا الأدراج السوداء... كل شيء أسود هنا.. ينتهي ببقعة من النور. يتجهون نحوها.

* * *



أفاقت نرمين ناظرة إلى مكان جلوس أحمد.. لم تجده.. هتفت بنعومة خارج النافذة:

ـ أحمد.. أين أنت؟!.

تثاءب منير في تكاسل قائلا باهتمام:

ـ أين ذهب أحمد؟.

قالت بهدوء قلق:

ـ لست أدري.

حاول منير إفاقة كريستين بنعومة قائلا:

ـ كريستين!.

فتحت عيونها فجأة.. قائلة:

ـ ماذا؟!.

ـ أحمد اختفى.. سوف أبحث عنه.. أغلقا أبوابكن الآن حتى آتي.

خرج في تكاسل.. (أحمااااااااد.. أين أنت؟!).

وبداخل السيارة.. أخذت كريستين تبحث عن لا شيء بداخل هاتفها



الجوال.. كهروب رسمي من حديث أنثوي.. قالت نرمين:

- أأعجبتك الرحلة.

- لا بأس بها.. حتى الآن.

نظرت نرمين بغضب عبر المرآة.. وصمتت... تمنت لو مزقت شعيراتها وافترستها كوحش ثائر..

- (ما لون عيونك الحقيقي؟)..

قالتها نرمين بدهشة... أجابت بسخرية كريستين:

- أيعجبك لون عيوني؟!.

- لست أقصد هذا.. هل وضعت عدسات لاصقة؟.. ترغبين في مقلب جديد؟!.

- كلا.

نظرت لها نرمين وعيناها قد اتسعت بدهشة عارمة.. حتى كادت تخرج من محجريها..

- ما لون عيونك الأصلية؟.

- العسلي.

- لماذا أصبحت عيونك بيضاء إذن؟.

(بيضاء.. ماذا تقولين أيتها اللعينة..)..

اختطفت مرآة تنظر إلى وجهها.. فتجهمت.. اتسعت عيونها بانصعاق.. صرخت كما لم تصرخ من قبل..



وقد تحولت عيونها إلى الأبيض تماما..

وشعيراتها الناعمة انتصبت بشكل بشع فجأة..

وسرى اللون الأبيض من قاع رأسها إلى الأعلى بشكل مخيف..

الصراخ يتعالى.. من كلا الفتاتين...

نرمين تصرخ وتصرخ.. حاولت فتح باب السيارة ولم تفلح.. كسرت زجاج النافذة... أصابت يدها دماء ساخنة.. تخرج عبر الزجاج المحطم.. مزقت يدها جروح عميقة. خرجت نرمين ولا تزال تصرخ.. خارج السيارة.. وبداخل السيارة.. كريستين.. التي تحولت إلى عجوز شمطاء مرعبة.. كساحرة تعيش بالقرون الوسطى.. ركضت نرمين.. يتساقط منها دموع الخوف.. ودماء ساخنة.. وقعت أرضا.. تكورت كطفلة صغيرة.. أمام تلك الصخرة..

ظل رجل يقترب.. حاولت تبديد الظلام لتعلم من القادم.. يحمل شيئا ما.. ويظهر الظل..

إنه أحمد.. وقفت مسرعة نحوه.. احتضنته في هستيريا..

(شيء بشع.. بشع.. كريستين.. كريستين أصبحت مخيفة تحولت إلى.......)

أبعدها أحمد بقسوة.. وما أن رأت ما يحمله بيده اليمنى.. يحمل رأسا تقطر منها الدماء.. يحمل رأس أقرب الأصدقاء.. رأس المسكين (منير).. وقطع اللحم تقطر دماء.. بأسفل الفم.. انتزعها بطريقة عشوائية.. حتى تحول صوتها بأكمله إلى صراخ مدوي.. صراخ الفزع.

* * *



هبط أحمد الأدراج.. كهف مظلم رطب يحمل رائحة العطن.. تشبه رائحته إحدى المنازل العشوائية القديمة في (مصر القديمة).. أو مقالب القمامة.. رائحة كريهة صافية.. بدون قمامة فقط جدران سوداء.. بنهايته ضوء خافت.. ضوء شموع.. معمل آخر.. ولكن لا يتواجد فيه قنينة واحدة زجاجية.. بل معمل تزين وجهته لوحة لنصف رجل يشير نحو سهم.. نهاية السهم طلسمة دائرية..

بداخلها رمز الكيان الصهيوني.. للعلم الإسرائيلي المعروف..

بالمقدمة عين واحدة.. يتوجه السهم نحوها.. يشير إلى رموز.. يفسر كيفية استخدام الطلسم..

توجه أحمد ليرى تلك الرموز.. والراجل يراقبه وهو يحمل سخرية لم يلاحظها أحمد منذ البداية..

قال أحمد وهو يحاول تقليد أحد الأفلام الهزلية القديمة، وكأنه يتذكر شيئا ما:

- هل أعمل هنا؟!.

- وتقيم أيضا.



ـ ما تلك الطلاسم.

ـ تذكّرها بنفسك.

ـ أنا أعلم لكن قليلا من الكلمات تذكّرني.

نظر له الرجل بصرامة.. توتر أحمد عندما لاحظ نمو لاحيته بشكل طفيف.. كان حليق الذقن منذ قليل.. وأخفىٰ كل شيء وراء نظرات متسائلة.. تقدم الرجل نحو إحدىٰ الورقات المحروقة الجوانب.

أمسك بواحدة وأعطاها لأحمد باهتمام قائلا:

ـ قل لي ماذا تقول تلك الرسمة من وجهة نظرك؟.

ـ ممم.. لست أدري.. ربما عجوز شمطاء.. تهالكت شعيراتها.. تنظر إلى الفراغ.. ربما اختفت حدقتاها ربما أصيبت بالعمىٰ.. لست أدري.. لكن هيئتها مخيفة.

نظر له بسخرية أكثر.. وأخذ الورقة.. وأعطاه أخرىٰ.. قائلا باهتمام:

ـ وتلك!.

ـ أجزاء بشرية.. صدر رجل قوىٰ البنية.. يد تحمل أجنحة الخفافيش.. رأس رجل يبدو الفزع علىٰ معالمه.

ـ هل تتذكر شيئا الآن؟!.

نظر له بشرود.. واتجهت رأسه يسارا ويمينا.. معلنا جهلة التام.

فقرر الرجل مصارحته بتمثيل هزلي فاشل.. وواضح:

ـ صديقي.. أنت ولدت علىٰ تلك الأرض.. كيف لا تعرف



أجدادك؟.. كيف لا تعلم شيئا عن نشأتك.

اقشعر بدن أحمد وهو يستمع بإنصات وكأنما يعلن عدم مقاطعته.

- كيف لحفيد (الهوليسيوس).. يعلن إنكاره لذاته.

ضربت تلك الكلمة صميم أحمد الذي قال بصرامة:

- احترس يا رجل لكلماتك.

أكمل ساخرا:

- إنه لشرف لي أيضا التواجد بغرفة أصغر أبناء الهوليسيوس.

نظر له بحنان فجأة.. ونمت لحيته.. بشكل هائل متحولا.. إلى عجوز الزنزانة.. اتسعت عينا أحمد برجفة قلبية.. أكمل الشيخ:

- ألا تعلم من أنت بعد؟.

نظرات الرهبة تجيب.. ولم يبال قبل أن يرفع يديه عاليا قائلا بصوت جهير:

أنت من سلالة اندثرت منذ الأزل.. سلالة العالم السفلي.. أنت ولدي.

* * *



وبدون شك أخذ أحمد قليلا من الوقت حتى استطاع استيعاب ذلك الموقف العسير.. أمسك ذراع أحمد كالذي قبض توا على أعتى اللصوص.. متجها إلى فتحة أرضية.. مغارة أخرى أكثر عمقا وأكثر ظلمة. أحنى أحمد رأسه وهو يسير جوار العجوز الذي فتح بنهاية الأنفاق بابا صغيرا إلى عالم آخر، جنس مشابه لهيئة ذلك الكهل.. في كل مكان.. صغيرا وكبيرا.. يعملون.. أشبه بحفرة بأعماق جبل.. يعيشون على أطرافها.. الملامح متشابهة إلى حد كبير.. رفع العجوز يديه عاليا.. وهو يقول بفخر:

- هؤلاء أبنائي.. أليسوا أفضل من عالم البشر برأيك؟. إنهم يعملون ويكدون ليلاً ونهارا من أجل الحصول على الطعام.. الكل يعمل، منظم. بالإضافة إلى أن لهم قائدا، يعمل هو الآخر على توفير النظام المستقر لهم.

جاوبه صمت من أحمد.. وهو يشاهد ذلك العالم العجيب بمخلوقاته المختلفة في الأحجام والتكوين، أكمل الرجل:

- حاولت مرارا الاتصال بك عن طريق أحدهم يظهر بأشكال كثيرة، أرسلت لك قطة، كلبا، طائرا.. وكلما عادوا إلى عالمهم.. عادوا إلى أشكالهم الأولى.



أشار أحمد بعجب نحوهم:

- ومن هم؟.

- قلت لك مسبقا يا ولدي.. مخلوقات اختفت منذ الأزل.

قال بكل استنكار:

- وأنا من تلك السلالة؟!.

نظر العجوز إلى جموع من العمال.. وإلى ذلك العامل الأحدب فارع القامة، أصلع الرأس، يحمل أعينا واسعة، قدماه رفيعتان، يحمل كرشا كبيرا.. هيئته غريبة وعجيبة وغير متناسقة مطلقا، الذي أخذ قليلا من الماء وقام بصبه في ذلك الحوض الواسع.. حوض الطعام كما يبدو للناظرين، نظر أحمد بكل اهتمام للعجوز الذي يجاوره، يتأمله من جديد!. حفر الزمن نقوشا على وجهه فأصبح وجها يعبر عن الغضب فقط الذي مط شفتيه قائلا في شرود وكأنما يحدث نفسه:

- وجدت أنثى الإنسان.. أنثى لا تحمل جينات الأحدب.. ولا تمس جنسنا من قريب أو بعيد..

ظهرت لها كقط.. احتفظت بي.. رعتني جيدا.. أكثر مما فعل أبواي أنفسهم.. ظهرت لها على هيئتي الحقيقة فيما بعد.. وبدون ذكر باق الأحداث اكتسبت ثقتها وذلك كان كفيلا لإنجابك منها.. أخذتك إلى عالمي.. وعندما شعرت بأنك تستحق الأفضل أرسلتك إلى عالم البشر من جديد.. وعندما أوشك العالم على الفناء.. أرسلت لك مبعوثا.. يحمل أحد أجيالنا القديمة.. وطلسمة لتعود من جديد.. إلى عالمك الأصلي.

نظر أحمد إلى جموع من الأقزام قائلا بحزن:



ـ أنا من نسل هؤلاء؟!.

ـ لك الحق أن تتنصل من أصولك... لكنها الحقيقة التي لا تقبل الشك أو الجدال.

ـ ليتك لم ترسل لي شيئا!.. يا ليتك.

ـ نحن بانتظار.. الملهم.. وأنت ستكون وزيره.

التفت فجأة الشاب بكل كيانه إلى العجوز وعلامات الاستنكار والخوف تظهر على ملامحه عندما أكمل:

ـ ذلك المسخ.. الخفي.. الذي يتواجد على سطح عالمك.. فهو ليس سوى ممهد لظهورنا.. سوف نظهر بعده.. ذلك إن لم نظهر في حضرته.

ـ وماذا تريد مني الآن؟!..

ـ أريد منك جلب جماجم.. رؤوس بشرية.

ـ جماجم.. من تقصد؟!.

أشار إلى نقطة بعيدة.. قام بلطم يد مع الأخرى.. ليختفي مشهد قاع الجبل والأقزام

ليظهر أمام الشاب ذلك المكان المألوف حيث كانت تقبع هناك السيارة. والرفاق.

* * *



في العيادة.........

ماذا أفعل في حالته؟ أصابه تشنج فجأة.. هل أكمل؟.. أم أتوقف؟!.

يبدو أنه يتذكر شيئا مزعجا.. أو يرئ صورا لا يحبها بالمرة. جسده يهتز كمن يتعرض للصاعق الكهربائي.

لو مات ستكون أكبر فضيحة مدوية؟.. ولن أظفر بقرش واحد. بالتأكيد سوف تطيح بتاريخي الأسود.. أجريت اتصالا بزوجته التي وبكل إخلاص مصطنع أتت حاملة محقنا.. وقالت لي وأكدت أنه سوف يجدي معه. لماذا يأتي خلفها دوما ذلك الفارع الذي يكره بكل حقد كل شيء يقابله؟.. فاقني في حقدي الطبقي. أمرتها بتركي بعدما استعادت الحالة وعيها.. تنظر إلى سقف الحجرة متصلبة.

عيناه الخضراوان ينبع داخلها دمعة خرساء؛ جعلتني أوشك على إنهاء تلك المهمة اللعينة.

لفت انتباهي فصل من فصول الأوراق التي أحضرتها السيدة.. كلمات تقول:

أنا المخدوع والخادع، تلاعب بقلبي قبل عقلي لأول مرة! فرمياني إلى أقرب فوهة للجحيم.



حديث أبي وأمي معا عن فتاة حسبتها بسيطة.. راضية، لو وضعت بذلك المنزل ستصونه وتعمّره بحبها الكبير.. حدث العكس، كان حبي لها مطمعا. وأموالي مأمنا. وبداخلي تتردد كلمات أبي كالسهام والسيوف، كلماته الحكيمة أعطتني الدافع لبداية جديدة حينما قال: "روحك وقلبك.. اغسلهما بماء الحكمة.. ليذهب عنهما الغبار.. ولا تدع عينيك تطلع بشوق لهذه الدنيا الفانية.. بنو آدم جميعا خطاءون، وأحسنهم من أدرك عاقبته وعالجها وداواها، وتسامح مع نفسه قبل أن يتسامح مع الآخرين.. بينما يحاول الإنسان أن يعترف لنفسه... كيف يمكن أن يشرح هذا للآخرين... بينما نار العشق تشتعل وتحرق؟... كم صعب أن تبتسم في وجه الجميع... لم أكن أعرف أن الحب ذنب".

الاندهاش والتوتر يسود الحجرة من خلالي، فالمريض كان يغط في ثبات عميق.. تلك الورقة خارج سياق الأحداث.. لقد أعطتني زوجته أجندة بالأحداث التي تروى.. بها ورقة منفردة تراصت بها تلك الكلمات.

من يقصد؟.

أنظر مرة أخرى إلى ذلك المريض.. حاولت سؤاله.

مرة أخرى!.

لنعد إلى العمل.

* * *



الجلسة الرابعة



"حياة أخرى مشابهة للواقع.. لكنها تختلف بالطبع.. بعضها غير منطقي بالمرة.. لكنها بالنهاية.. حياة أخرى".

- راقب ذلك المشهد جيدا.

كريستين تتحول لعجوز شمطاء..

نرمين تقتحم زجاج السيارة..

دماء..

رجل يأتي من الظلام.. حاملا رأس شاب كان يوما من أقرب الأصدقاء..

زوجته تختفي خلف حجر.. تسرع نحوه.. يبعدها في قسوة.. يخرج خنجرا:

- (لاااااااااااااااااااا.. لا تفعل.. لا تفعل)..

قالها أحمد بلوعة ورعب.. وهو خلف حجر ينقل له الصورة.. كالشاشة..

التفت للعجوز الذي تغير لون عينيه إلى اللون الأبيض المخيف.. لم يبال وهو يقول في رجاء:

- افعل شيئا.. لا تسمح له بقتلها.. أرجوك.. ارحمها ليس لها ذنب.



وبلطمة من يديه.. توقف المشهد.. وبنظرات صارمة:

- أغوتك فتاة الإنسان إذن.

- لا تسمح له بنزع عنقها.

وأحنى رأسه قائلا:

- اقتلع رأسي إن أردت.. هيا خذها ودع زوجتي.

عادت عينا الرجل إلى طبيعتها الشبه آدمية.. وهو يبتسم.. وربت على كتف أحمد قائلا:

- أمستعد إذن لأوامري.

- شرط أن لا تمس زوجتي.

ذرفت عيناه دمعة حارة.. وهو لم يزل محني الرأس.

(حسنا.. لن أقتل زوجتك)..

نظر له أحمد بصرامة قائلا:

- ماذا تريد مني؟.

إتمام المراسم..

- كيف؟!.

- ابحث لي عن جميع الأوراق التي تحمل طلسمة عودة (الملهم).

- كيف ذلك وقد تغير عالمي؟.

- سوف أعيدك إلى عالمك الطبيعي.. وقبيل ذهابك إلى المنطقة الخضراء



لن تتذكر شيئا.. مما رأيته هنا.

ونظر له الرجل وكأنه يشتم رائحة نتنة:

- أصبحت منهم.. لا أريدك بعالمي.. قبيل فجر ذلك العالم.. سوف تنقل إلى عالمك.

وعادا إلى باطن الجبال.. حيث الأقزام والعمالقة.. أتى عمالقة يحملون الطعام.. ويحملون الأقزام إلى الأعلى.. كي يحضروا دهنا من الشموع.. أضاءوا القاع بوهج أحمر ناري.. قام قزم برسم دائري كبير.. اصطف عدد من العمالقة.. على شكل مثلث معقوف.. والأقزام مثله ولكن العكس.. ورفع كبيرهم يدا إلى الأعلى.. منشد طلسمة ما..

ينشق ظهور الجميع.. بطرقعات كتكسير العظام.. اقشعر بدن أحمد.. وهو يرى أجنحة سوداء تخرج من العمالقة والأقزام في وقت واحد...

وارتجف قلبه.. وهو يفكر في مصير زوجته.. ترى هل تنجوا.

* * *



جلس مستندا على أحد الأحجار الكبير في يأس.. أمام ذلك الكهل الأحدب.. الذي أمسك بورقة.. وأشعلها بوهج.. ورائحة نتنة تتصاعد من قمتها..

(بعد طلسمة عودة الملهم.. ماذا سيحدث لعالمي)..

قال العجوز ببساطة:

- ستكون بداية فناء عالمك.. هؤلاء العمالقة يأكلون من يسقط منهم.. هؤلاء الصغار والكبار، لقد رأيتهم من قبل في القاع. لن يتركوا شيئا.. سيأكلون الأخضر واليابس معاً.. سيمشطون الأرض، لن يدعوا بعوضة خارج فمهم.. ستكون نهايتكم.. قريباً لا تقلق.

نظر له بشرود أحمد.. وفي خلده دارت فكرة.. لم يفصح عنها بعد..

"(لا أظن أن هؤلاء جميعا سيقتلون قومي)"..

ضحك العجوز عاليا:

- الطلسمة ستعيد أمواتا كثرا بباطن الأرض.

- "الأموات مع هؤلاء القوم سيشكلون قوى عظمى لا تقهر.. الطلسمة ستعيد الموتى إلى الحياة مرة أخرى يا بني"..

- "لن ترى صداقات تنبت من العدم، لن ترى حبيبة أو صديقة،



لن ترى الأخضر، لن ترى قطرات مياه البحار والأنهار.. كل شيء سوف يفنى.. لن يتركوا شيئا".

- "سوف ترى عالمك ينهار دفعة واحدة".

- "أمنحك فرصة الانضمام.. أو المشاهدة"

واكتملت الرجفة بأوصال الشاب وارتعد، رأى بعينيه شبيها له ينفذ من حجر كالنسيم..

مقتربا منهم في هدوء بغيض.. أشار إليه بذهول أحمد قائلا:

- من هذا؟!.

قال الكهل بظفر:

- ذلك ما سوف يحقق المنشود.. لأنك سترفض بالتأكيد؟.

ابتسم الكهل وهو يراقب شبيه أحمد الذي اقترب واقفا منتصبا جوار الكهل.. ينظر إلى أحمد في لا مبالاة.. كان أحمد في تلك اللحظات في أشد لحظات الانصعاق.. عندما رأى ذاته لأول مرة.. لحما ودما.. أمامه.

أسرع يقول:

- على الأقل قل لي ما تنتوي فعله؟!.

- ذلك ليس شأنك.

ذهبا معا... الكهل وشبيه أحمد، وتركا الأخير داخل شحوب الوجه.. وأفكار ضبابية داكنة..

عبر غبار تجميع الأفكار.

* * *



فجرا.. مشط أحمد قاع الجبل بحرية عجيبة.. فوهة بركانية بالجوار.. تمتم في خفوت:

ما تحتاجه.. هو تفجير الفتحات الجانبية لتندفع المادة البركانية التي تقبع خلف ذلك الجدار.. حتى لو كان حلماً.. حتى لو كان كابوساً...

لابد أن ينقذ الرفاق..

تذكر للحظات أنه قام بدراسة مادة الكيمياء..

ابتعد عن أنظار الكهل العجوز..

جمع مواد حجرية.. قام بمزج تلك المواد.. بمادة حارقة من المواد العضوية.

أغلقوا بوابة قاع الجبل.. وقبيل الفجر.. يدس تلك المادة.. بمواضع مختلفة..

مع ربط القنابل البدائية بحبال دقيقة.. ثم.. أشعل وهجا ناريا..

تفجرت فتحات من مواضع مختلفة بداخل الجبال.. أفاق الأقزام.. صرخات.. كالصنبور..



فتحة خرجت عبر شق من وهج بركاني.. منابع مشتعلة بالجحيم.. ابتلعت لحم القليل منهم بالأسفل..

منهم من برز جناحاه وارتفع إلى أعلى قبل أن ينصبّ رزاز اللهب على جناحيه فيصرخ ويسقط.. يصطدم بجانب الجبل في لوعه وجناحاه يحترقان.. يقع مصدرا صراخ وحشي كصرخة الضباع.. وصرخات مدوية بالأسفل من قوم صغار يحاولون الهرب من براكين اللهب..

صرخات تذكرتها ذاكرة أحمد لدقائق.. تترك داخله آثارا بشعة لا تمحى. وكأنه رأى ذلك المشهد من قبل، أقدام العملاقة الذين ركضوا لفتح البوابة في يأس وألم تذاب، هو يعلم أن حياته أوشكت على النهاية.. اللهب لن يترك أحدا حيا..

راقب الشاب ذلك المشهد في جزع... ولم يدر أن ذلك العجوز أتى من خلفه.. تقدم بحذر شيطانيا..

ثم..

ضربة أطاحت به نحو القاع.. وسقط أحمد نحو الجحيم..

اقترب أكثر وأكثر من المسبح الأحمر الناري.. لماذا لا يجد أدنى منطقية في كل ما جرى؟!.

وما يجري!.

* * *



بالعيادة......

اللعنة ماذا يفعل؟!..

لا يستجيب..

تلك هي المرة الأولى التي يحدث لي هذا.. فقدان السيطرة على المريض.

هل اقترفت خطأ؟.

يبدو أن كل شيء سوف يعاود من جديد.

ولكن تلك المرة يجب أن أتحاشى المزيد من الأخطاء السطحية.

* * *



الجلسة الخامسة



"ربما علي تدوين كل شيء... لو أتت العملية جدواها ونجحت الجلسات.. جهاز تسجيل لا بأس به الآن.. لابد من الاستفادة من الأخطاء الصغيرة لتحاشيها في المستقبل الذي يحمل القوة.. المفرطة."



في الغابة المظلمة.. هتف صغير:

- سيدي أرى ذلك الشخص يفيق من ثباته.

قال العجوز بهدوء:

- لعبتنا في الأحلام أيها الصغير.

قال حاليموس الطفل المدلل:

- وهل سوف تعبث أنت معهم؟.

ضحك العجوز قائلا:

- ذاك هو تلميذي.

قال أحد الصغار بصوت هامس:

- أكل تلك الأحداث سوف تحدث أم حدثت؟.. أم كل هذا أوهام بداخل عقل ذلك الآدمي؟.

رمقه العجوز متفحصا ملامحه، قائلا بهدوء:

- أأنت ذلك الجديد بن ليجويسيس؟!.



قال الطفل الأحدب ببراءة:

- نعم.

قال الأحدب ساخرا:

- سوف تحتاج لمجهود زائد لتتعلم.

وهنا أشعل اللهب مرة أخرى.. وراقب الحاضرون الدرس الأخير.

* * *



ـ (ما تلك الناموسية الكحلي).

راقبت نرمين زوجها أحمد الذي اتسعت عيناه.. قام مفزوعا إثر ذلك الكابوس المفزع.. وضع يديه على وجهها ليطمئن عينيه على أن ما تراه هي نرمين حقا.. قال بتوتر:

ـ هل وصلت الساعة التاسعة.

ـ بالطبع يا عزيزي أحضرت لك الفطور.. لم أرك تتلمس وجهي بتلك الطريقة؟.. لكنها تروق لي.

ـ كابوس رهيب كان يطاردني.

بنظرات اهتمام قالت له:

ـ أنا أيضا حلمت بكابوس بشع اليوم.

قال لها بحزم:

ـ فيما بعد.. الآن أريد مهاتفة منير.. استعدي سوف نذهب بعد ساعة من الآن.

نظرت بغضب قائلة:



-ولماذا كابوسي لا أرويه لك.. أنت لا تستمع مطلقا لي إلا كلما شئت أنت.. دائما عندما تشاء.

قال أحمد بصرامة:

-تلك النغمة ألن تكفي عنها مطلقا؟!.. أعدي لوازم الرحلة.

ذهبت بعصبية.. أما أحمد توجه ليرتدي قميصه.. استمع إلى صوت نرمين تهتف بصوت عال:

- أجري والدك مهاتفة تليفونية، طلب مني حرق الورقة الصغيرة التي أحضرتها معك من المعمل.

توقف أحمد عن إدخال الزر الأخير بداخل فتحة قميصه.. وذهب إليها مصعوقا وقال بصرامة:

-أي ورقة؟.

فقالت بنفس الحزم:

- الورقة التي أحضرتها معك البارحة التي التقطت صورها عبر (لابك المحمول).. هل نسيت؟.

أكمل وقد سقط فكه السفلي:

-أنا لم أحضر أي ورق البارحة.

قالت متحدية في نبرة حادة:

-أقسم لك.. أنا لا أكذب.

اختطف أقرب كرسي مجاور له وسقط عليه.. قال بنبرة خافتة:



ـ ولماذا أحرقتيها؟.

ـ قال لي أبوك إنها خطرة، وإنها سوف..

قاطعها بنظرات غاضبة:

ـ مستحيل.

قالت بدهشة:

ـ مستحيل ماذا؟!.. ألا تصدقني؟.. أعلم صوت أبيك.

ـ مستحيل أن يكون هو!.

ـ لماذا؟.

ـ لأن أبي قد مات منذ خمس سنوات!.

تسمرت عيناه تجاه الفراغ كأنما يتذكر أحداثا مر بها، مشهد.. إنهم هناك.. في الغابة.. يقتلون.. نظر بفزع إلى نرمين التي أرهبتها نظراته فارتجفت رجفة أسفل قدميها وكأنها تخشى أن يعلم ما تكون.. قالت صارخة بداخل عقلها (لا) فقال بحذر:

ـ ما بك.

أطلق زفيرا طويلا.. قبل أن يقف ويحتضنها بكل حنان.. قائلا:

ـ معك كل الحق.. لن نذهب إلى تلك الرحلة المشؤمة.

أغمضت عيونها في راحة مؤقتة.. كانت تخشى أن يعلم.. وقد هبطت دمعة حارة من عيونها قائلة بهمس:

ـ حسنا.. كما تريد.



- سوف أبقى معك الليلة لنستمتع بسهرة فاخرة بأحد المطاعم.. سوف أستمع إلى كابوسك.

* * *



ـ هل تعتقد أن كل ما حدث لك كان حلما..

قالها منير بتوتر وهو جالس مع أحمد في جلسة صامتة بمنزل منير.. قال أحمد بتوتر:

ـ لقد كان أقرب ما يكون إلى الواقع يا منير.. واقع ملموس.. ذهبنا جميعا.. اقتحمت عقولكم.. استنتجت كل شيء حتى فيما كانت تفكر به النساء.. كنت المشاهد الوحيد.. أتنقل عبر كاميرا عقلية حادة الرؤية.. لا أدري سوى أنني أهرب من كيان لعين.. رجل عجوز أحدب قذر قادني نحو الهلاك.. أرض مظلمة.. غابات سوداء.. ظلام.

راقبه منير بانتباه واهتمام.. حاول أن يكون مرحا قليلا ولم يفلح.. الجو غير مناسب بالمرة، فقال بهدوء:

ـ هل تشك حقا في نرمين ؟.. هل تعتقد حقا أن ما يوجد بداخلك حقيقي يا صديقي؟.

نظر بجدية قائلا بصرامة:

ـ قلت لك إنك قتلت الثعبان الذي كان يود دس سمه بقدمها!.. كان يود الانتقام منها لأفعالها.



- كيف وأنت لم ترها مرة واحدة تخونك؟.. غير منطقي.. أفعالك مبالغ فيها.. استمعت لك بمنتهى الصبر.. ولكنك تقود نفسك للجنون.. توقف!!.

الصدمة التي خلفها منير المباغتة هي من أشعلت الموقف..

يظن أنه مصاب بالجنون...

منير يقوده للجنون.. لعله بالفعل جن.. لعله فقد عقله.. لن يذهب مطلقا لعيادة الطبيب النفسي.. بل لن يطاوع نفسه ويصدق كلمات صديقه بأن يتوقف.. لقد وصف له كل شيء.. ومستحيل أن يقص على مسامع زوجته الوحيدة شكه بها.. ستثور وتفقد عقلها.. ستستنكر.. بل لن تتوانى وتطالبه بالطلاق الفوري.. لذلك لابد من الخلاص من ذلك الحرج أمام صديقه.. لن يفقد صديقه لمجرد حلم سخيف قصه على مسامعه طيلة ساعتين كاملتين مضيت.. لابد له من الفرار ولو بالقفز من النافذة، اتخذ قراره معلنا رد فعل أخيرا.. تنهد بهدوء آخذا شهيقا طويلا قائلا:

- معك حق.. أنا أفكر كثيرا.. خيالي جامح.. حسنا.. سوف أذهب إلى طبيب نفسي لأتخلص من أوهامي.

قال منير في استنكار:

- طبيب نفسي!!!.. أنا لم أطلب منك العلاج يا أحمد.. فقط كل ما أطلبه هدنة مع النفس.. التفكير بهدوء.. لديك شكوك حولتها إلى حلم..

وهنا هاج أحمد وأطاح بكوب الماء من أمام منير بغضب.. قائلا بعصبية مخيفة:



ـ لا أكذب.. بل هو واقع.. الحلم واقع.. واقع..

امسك منير بذراعه محاولا تهدئته قائلا:

ـ احمممممد اهدااااااء.

لم تفلح محاولات منير في تهدئة أحمد فقد أصيبت يد الأخير بجرح غائر.. أصاب منيرا بالفزع:

ـ يدك.. لقد جرحت.

دماء غزيرة انتشر رزازها بالغرفة.. إثر انفعالات لم تهدأ بعد.. لا يستمع لشيء وهو يستنكر..

يردد أنه لم يفهمه أحد.. لم يلحظ أن نظرات الفزع في عيون منير ليست لرؤية الدماء ولا لجرح يده، بل للذي ولد فجأة وفجر الدماء الغزير.. قال بغضب محاولا لفت انتباه أحمد الذي أصابه المس ولا يستمع لنداء أحد:

ـ انظر ليدك!.

نظر أحمد بكل هلع ليده.. ورأىٰ ذلك الشيء.

وقع من كريستين فنجالا القهوة التي أسرعت تحضرها لهما منذ دقائق.. وأنصتت لهما جيدا عندما ارتفعت أصواتهم فجاءت مسرعة.

وصرخت عندما رأت يد أحمد.

يخرج منها شيء عجيب ومخيف.. ومقزز.

* * *



كل ما يعلمه الآن أنه يرقد داخل مشفى خاص.. وقد وضع حول يده سور حديدي بارد.. لا يشعر بوجودها على الإطلاق منذ بزوغ ذلك الشيء.. يغطون جسده بفراش أبيض مخفيا يده.. ظلام وفراغ.. بعدما افرغوا محقن البنج ليذهب في حالة من الشلل المؤقت لمدة قد تتجاوز ثلاث ساعات متواصلة.. كي ينتزعوا ذلك الشيء.. حالة غريبة مر بها منذ لحظات.. دوامات.. الغابة.. نرمين.. كريستين.. منير.. رحلة.. ماذا يفعل الشيطان بعقلة الآن.. قد استسلم.. وأسلم عهدته أخيرا داخل المشفى.. ليترك لصديقه محاورة ضميره على عدم تصديقه منذ البداية.. ذلك الحدث بالتأكيد سوف يترك أثرا لا يمحى من ذاكرته ومن ذاكرة الجميع.. يشعر بوجود كل من حوله.. كريستين.. منير.. نرمين.. أصدقاء مقربون.. ثغرة يقع بها الآن.. لقد أشعل فتيل شيء ما لا يدري طبيعته بعد.. هناك شيء ما يحدث غير الواقع.. ألصقه بالخيال.. ثغرة بين عوالم الخيال والواقع.. بعدما ظهر ذلك الكائن الغريب بعد اندلاع الدماء من يده التي تحولت إلى رأس لكائن صغير.. يحمل جمجمة شبه بشرية صغيرة.. ظهر بذراعه كورم حميد. تساءل عما يدور بالخارج ماذا يحدث؟. هناك هرج ومرج داخل الحجرة.. نداء من طبيب يقول.. الحالة على وشك الانهيار.. نبض القلب ضعيف. هل ما يقوله صحيح؟..



هل هو بالفعل اقترب من حافة الموت؟. لقد رآه.. بالفعل رآه.. إنه ذلك الشاب الذي حاول بالماضي الفوز بزوجته الحالية.. ماذا يفعل هنا؟.

* * *



صوت ضحكات رجل مسن داخل نفق يغشاه الظلام.. يرتفع رويدا رويدا، حتى كلما اقترب يسبب رجفة في قلبه.. ينتابه خوف.. مرعب.. الصوت أصبح قريبا.. يظهر ضوء خافت خلف رجل عجوز أحدب الظهر.. يظهر كنجوم السينما.. معلنا عن ظل رجل.. يضحك في جنون.. قائلا:

- يلتهمك سؤال.. أين أنت.. (ضحكات ساخرة) هأء هأء.

يقول في ذاته ليته يستمر بالحديث دون ضحكات مؤلمة.. وحدها تبث في أوصاله الرجفة،

استمر قائلا بسخرية:

- تتهرب من ذلك السجن.. تحوطك المزيد من الأسئلة العبثية.

صمت وهدوء.. قطعه صوت يأتي من بعيد لذلك الرجل قائلا بنبرة هادئة نسبيا:

- تحوطك شكوك تجاه زوجتك.

قال أحمد بوهن شديد:



ـ ماذا تريد مني؟.

صوت الهدوء يسد الأركان الفارغة..

ثم أتى صوته كالحية يقول بنبرة مخيفة:

ـ النهاية أتت.

* * *



يسود الصمت داخل الجزيرة.. ربما لاحظ الأحدب أعين الصغار التي امتلأت بالشغف.. وضع يداه خلف ظهره في تفكير.. يسير حول شعلة النار.. كان يود صغيرا يتميز عن باق الصغار بالبدانة وقلة الذكاء قول شيء ما.. حشر الكلمات في فمه وراقب العجوز.. يسير في شكل دائري حوار الصغار..

فلتت الكلمات من فم الصغر قليل الذكاء وقال:

- ولكننا لا نحارب البشر.. أنا لم أرهم يوما منذ مولدي!!!!.

توقف العجوز.. ناظرا إلى الصغير بصرامة.. ثم أشار بأصابعه نحو الصغير قائلا بنبرة هادئة متصاعدة:

- من سمح لك بالكلام.

توتر الصغير.. وشعر بخوف مجهول من العجوز ثم خفت حدة التوتر عندما لم تشتعل عيون العجوز غضبا.. ربما كان عقابه مخففا.. ربما كان ينتظر رد الفعل.. لكزه أقرب صغير كان بجواره:

- لماذا تحدثت؟.

- أأأننا لم اقصد أن...



أمسكه من ذراعه فجأة العجوز.. قائلا بعيون وحشية:

ـ إياك وطرح الأسئلة مجددا في حضوري.. تلك هي المرة الأخيرة لك.

توقفت الدماء في عروق الطفل.. واتسعت عيناه برهبة قائلا:

ـ حسنا.

اختفى لهيب الغضب من أعين العجوز قائلا كأن شيء لم يحدث:

ـ ذلك جيد.

عاد ليضع يديه خلف ظهره ويسير في تفكير قائلا:

ـ الإنسان هو أعتى المخلوقات عبر التاريخ أجمعه.. تاريخك مليء بالدماء خلفها البشر.. يقتلون بداعي السلام.. يحاربون أنفسهم من أجل قطع الذهب.. يمارسون التجسس.. الخداع.. يسرقون، يقتلون بقسوة ويرددون مقولات سلمية.. لكنهم في الحقيقة أقذر الكائنات.

أشار إلى كوخ صغير.. لم يدع أحدا يقترب منه منذ سنوات قائلا:

ـ هناك.. كنت أدرس قطعا منهم.. أدرس كيفية حياتهم.. أدرس دوافعهم للقتل.. يا أبنائي.. عاجل أم آجلا.. سوف يستردون تلك الجزيرة مرة أخرى.. سوف تقع كارثة تهدد أقرانكم.. يجب علينا الاستعداد لصد خطر هؤلاء.

ثم نظر إلى الكوخ بكل حقد.. كأنما يخفى ذلك الكوخ خطرا يهدد وجودهم.. نظر الطفل الأقل ذكاء والأكثر بدانة بكل اهتمام نحو ذلك الكوخ.

* * *



راقبهم وهم يحشرون أجسادهم بذلك الفراش الواسع.. الذي يتسع لجميع الصغار.. مط شفتيه بلا مبالاة.. قائلا داخل تلابيب عقلة.. لن يراه أحد.. إنه الطفل البدين الذي يشبه كرة قدم ضخمة..

تشعر وكأنه يزحف كالزواحف البرمائية محاولا الخروج من المغارة بكل حذر.. خشيه أن يراه أحد.. خصيصا العجوز.. يعلم الآن أين يجده.. إنه هناك بذلك الكوخ.. ينتابه شغف لا يعلم من أين نشأ.. شغف نحو التمرد.. ومعرفة ذلك السر الذي يحتفظ به الأحدب الكبير.. تناسئ العواقب.. التي تحذره من الاقتراب.. ولكن السؤال الذي لم يجد له إجابة بعد.. كيف يعلم السر والكوخ مغطئ بقالب من مادة خاصة تمنع الولوج بالنظر داخله؟.. وقف بالمنتصف بين المغارة التي يخلد بها الصغار.. وبين الكوخ الذي يقبع بداخله العجوز.. رأئ باب الكوخ ينفتح بهدوء.. أسرع يواري جسده داخل المغارة حيث الأطفال الذين راحوا في ثبات عميق.. حشر جسده جوار أحد الأطفال الذي فتح عينيه بكل غضب وقال بنبرة غاضبة:

-ماذا تفعل هنا؟.

نظر له نظرة بلا معنئ ولا إجابة.. وهو يراقب مدخل المغارة.. قال



الصغير بانفعال:

- أذهب من هنا رائحتك نتنة.

نظر البدين بكل غضب.. لا يدري من أين تخرج الكلمات؟.. ظل العجوز يقترب.. بهدوء مخيف نحو باب المغارة.. فرش جسده مدعيا النوم.. قبل أن ينتصب الطفل الآخر قائلا بغضب أكثر:

- اذهب مكانك أيها البدين.

وفي تلك الأثناء كان الرجل العجوز يقف منتصبا جوارهم قائلا بصرامة:

- ماذا هنا؟.

تفاجأ الطفل بوجوده فقال بتوتر:

- حاليوس نام وأكل منطقه نومي.

كانت في تلك الأثناء نبضات قلب البدين ترتفع.. مغلقا عيناه بتوتر ملحوظ.. قد فقد أعصابه عندما سمع العجوز يقول بصرامة:

- حاااليوس.

فتح عينيه مدعيا البراءة قائلا:

- نعم.. من ينادي.

أكمل العجوز:

- اذهب إلى موضع خلودك.



وقف بأدب متوجها إلى موضع نومه. اطمئن العجوز أن كل شيء على ما يرام.. قبل أن يختفي ظله من المغارة..

تاركا تنهيدة من الطفل البدين..

وهو ينظر إلى خطواته الأخيرة.

تمر الساعات..

حتى لمعت مصابيح السماء في استحياء معلنة عن فجر جديد.. يعلم أنهم الآن خالدون في نوم عميق.

لذلك سوف يعلم ذلك السر مهما كان الثمن.. وثب من فراشه متجها بكل حذر إلى ذلك الكوخ.

لم يكن يدري بذلك الطفل الذي يراقبه..

اقترب من الكوخ..

فتح بابه..

اتسعت عيناه في رهبة لما رآه.

❋ ❋ ❋



الجلسة السادسة



"دقيقة دون ضمير كفيلة.. دقيقة واحدة".



فتح عينيه في تكاسل غريب.. وجد بجواره نرمين تنظر له بكل حنان.. تملس على شعيراته كطفل ولج توا من بطنها مثل أمه.. لا يدري ما المشاعر التي بداخله الآن..

على كل الأحوال هي بجواره قال ببطء:

- ماذا حدث لي.

وضعت إصبعها على فمه برقة قائلة:

- لا تتحدث.

أغلق عينيه مستمتعا بتلك اللحظة التي تظهر له حبها الدفين.. يكفي أن الذي رآه برمته كان كابوسا مريرا.. تاركا نفسه في أحضان وجودها.. يكفي وجودها.. حاولوا كثيرا أن يحدثوا وقيعة بينهما..

تمسك كلاهما بالآخر.. فتح عينيه في سرعة ناظرا لها بلهفة:

- هل ذهبنا إلى تلك الرحلة.

قالت بنبرة حانية:

- ألا تتذكر؟.



نظر إلى سقف الحجرة في يأس قائلا:

- يتلاعبون بعقلي؟.

خشي أن ينطق شيئا عن تلك الشكوك التي تحيطه بشأنها.. يعكر صفو تلك اللحظة.. تنهدت قائلة:

- الأطباء أخبروني أن...

- اللعنة على الأطباء.. اخبريني أنت يا حبيبتي ماذا حدث لي؟.

اتخذت قرارها أخيرا قائلة بحسم:

- لقد ذهبنا إلى تلك الرحلة.. وتلك الورقة اللعينة التي أحضرتها معك.. ومارست طقوس غريبة.. ومن حينها لم تصبح أحمد الذي عهدناه.. لقد أصابك المس.. تقول كلمات غير مفهومة.. تحطم كل شيء تقابله أمامك.. أحضرناك لطبيب نفسي كي يعلم ما بداخل جمجمتك.. وقام بمسح ذاكرتك التي تخص تلك الرحلة عن طريق التنويم المغناطيسي.. حتى عادت إليك ذاكرتك وأخبرت منير بكل شيء..

ومن تلك اللحظة ظهر ذلك الشيء العجيب من..

هنا.. شرد بذهنه بخجل.. لو أخبرها بشكوك منير نحوها.. ولكنها لا تبدو حزينة سوى على حالته الصحية ليس إلا.. إذن ما فعل به كل هذا ممارسته ألاعيب شيطانية.. فتح باب الحجرة في بطء.. لقد ظهر؟!.

اختفى ذلك المشهد الرومانسي الذي كان منذ قليل.. عندما غضب أحمد وحاول فك الأساور التي تحوط يده ملتصقة بأسفل الفراش بكل غضب:



ـ كيف تجرؤ أيها الوغد.

قال الرجل الذي كان بباب الحجرة بهدوء مستفز جمع ما بين السخرية والشماتة معا:

ـ هل تستقبل ضيوفك بالهجوم هكذا.. أين كرم الضيافة؟.

ـ اخرج من هنا أيها اللعين.

بسخرية ألقى نظرة أخيرة على زوجته وهو يبتعد ببطء.. لا يزال يحاول فك الأساور من يده بهستيريا مجنونة.. صرخت نرمين:

ـ النجججدة لقد عاودته النوبة.

اقتحم الغرفة الممرضون.. وضعوا له محقنا مهدئا. استكان كل شيء الآن. وغط في ثباته من جديد.

* * *



المشهد يبدوا عجيبا.. وغريبا.. بالنسبة لطفل لم ير بشريا من قبل في حياته.. أربعة من البشر نائمون.. فوق أحجار تناسب أحجامهم الكبيرة.. تتواصل بأجسادهم العارية عروق حمراء عدة، الأكثر غرابة تلك العروق التي تتصل بجماجمهم.. طرفان من العروق من الجبهة اليمنى واليسرى.. ويتواصلا بشكل حلزوني.. صدورهم تتعالى وتنخفض بهدوء.. يبدو شاحبين.. وأسفل أعينهم غمام.. وشحوب عجيب انتاب ذلك الرجل الذي يرتعش من آن لآخر.. اقترب ببطء من مركز توصيل تلك العروق الحمراء.. مثل علبة صفيح.. تصدر أصواتا هادئة مثل مواء القطط كل دقيقة..

راقب أجسادهم.. وكيف يفوقونهم في الحجم.. ظهورهم منتصبة عكس ظهورهم التي تنحني.. ها هو الآن جوار الرجل الذي يرتعش.. هل يشعر بالبرد؟.. هكذا ظن الصغير وهو يتحسس الأسلاك التي تشبه في تكوينها الشرايين، وخاصة ذلك الذي التصق بجبهته اليسرى.. شريان أملس رقيق..

تساءل هل يمده بالحياة؟.. كيف يتغذى؟.. راقب باب الكوخ الذي كان مفتوحا نصف فتحة..



ينبعث منه ضوء الشمس برفق.. ونظر مرة أخرىٰ إلى ذلك الرجل..
ماذا سوف يحدث لو نزع ذلك العرق الذي انحشر بجمجمة الرجل؟.

* * *



ـ ماذا حدث له؟.

قالها كبير الأطباء.. بعدما طلبت نرمين الاستغاثة عندما صرخ أحمد بأنه يرئ أحدهم!..

ثم راح في غيبوبة عميقة. قال الطبيب وهو يقيس النبض:

ـ ألم أقل لك من قبل ألا تتحدثي معه في شأن ذلك الأمر.

حاولت أن تتمالك أعصابها قائلة بتوتر:

ـ لقد كان طبيعيا عندما حدثني!!.. ظننت أنه الوقت المناسب.

راقب الطبيب بصرامة واهتمام مؤشرات القلب متجاهلا كلمات التبرير التي تنطقها نرمين..

حتئ أسرع يمسك بالهاتف قائلا بصرامة:

ـ فليحضر فريق البحث حالا.. نبضات القلب غير طبيعية.. وحجم القلب يتضخم.. أسرعوا.

أغلق سماعة الهتاف في سرعة قائلا بصرامة:

ـ اذهبي من هنا حالا.



أخذت نرمين تدعو لزوجها الذي استكانت حركته تماما. ماذا يحدث له؟.

شاهدها الجميع في تلك اللحظات.. وقد شعر جميعهم بمدى وفاء وحب تلك الزوجة.

* * *



وثب مبتعدا عن الكوخ بعدما أغلق بابه بأحكام.. وأسرع نحو المغارة.. نظر إلى الجميع ليتأكد من خلودهم للنوم.. جلس بالموضع المخصص له.. ولم يتذوق طعم النوم.. يفكر.. وهي تلك المرة الأولى التي يفكر.. ذلك البدين الأقل ذكاء كشف ما كان محرّما من قِبل العجوز.. لن يخبر أحدا حتى يراهم مرة أخرى.. حتى يعلم لماذا هم هناك؟.. حتى يدرك كل شيء. ها قد أتى الليل.. إلى ذلك الجمع.. وتلك المحاضرة التي كان بها العجوز لأول مرة مبتسما.. وهو ينظر للأطفال.. قال بسخرية:

- من يريد معرفة نهاية ذلك البشري.

هتف جميع الصغار بالتأييد في سعادة كأنما أعلن للتو عن موعد رحلة مرحة.. أكمل:

- الآن.. الآن..

تفحص عيون الصغار أجمعين.. تأمل قليلا حاليوس الذي لاحظ عليه علامات الارتباك.. نظر صوب عينيه مباشرة.. فتحاشاه الصغير.. قال موجها سؤالا للجميع:

- هل أحد هنا معترض؟.



قال الصغار جمله واحدة عدا حاليوس:

- كلا.. كلا..

وهنا لمعت عيناه وهو يقف أمام الصغير حاليوس.. قائلا بصرامة فزع لها الصغير:

- ما بك؟.

نظر له الصغير ورأسه تعلو أكثر وأكثر حتى نظر إلى رأس العجوز قائلا بخفوت يشوبه نبرة خوف:

- لا شيء.

لا يرتاح العجوز كثيرا لنظرات حاليوس، وقد اخترق جمجمته اختراقا، لم يكن فصيل ذلك النوع من ذلك الجنس غير البشري يسمح بالعبور عبر خلايا المخ لقراءة الأفكار.. بل كانت تسمح فقط بالولوج عبر جماجم بني البشر فقط.. ابتعد عن الصغير.. وقد تنهد الأخير تنهيدة قد شعر بها باقي الصغار الذين كانوا بالجوار.. قال العجوز واضعا يداه خلف ظهره معلنا بداية الصف الأخير لتلك المرحلة الأخيرة، وهنا أطلق يدا بمنتصف الدائرة كي تظهر شاشة شديدة الوضوح لعالم البشر، يسير في ذلك الشارع الواسع سيارات عملاقة، وصغيرة، يمر من هنا وهناك بعض البشر عبر الشاشة الصغيرة.. قال العجوز بكل حدة:

- الآن أعلن كيف استطعنا ولوج عالم البشر عبر الولوج إلى عقلهم الصغير مقارنة بعقولنا التي كنت بالنسبة لهم عقولا جبارة.. عقولهم تطلق لقبا فريدا قائلين إننا ننتمي لعالم غريب يدعى عالم الجن الذين يريدون اختراقه بكل الأشكال الممكنة.. لتحقيق أحلامهم عبر أحجية



سرية.. رسومات غريبة.. طقوس حيوانية.. وبينهم ساتر لا يقتحم أبدا.. لا يدرون أن عالم الجن عالم خاص لا يقتحم بكل تلك السهولة.. بل من المستحيل أن يخترق.. ونحن أيضا لا ننتمي لعالم الجن.

هنا انتظر الأطفال الصغار الإجابة الأخرىٰ عن هويتهم الحقيقة..

عندها... صمت العجوز.

* * *



يرمق مشاهد متكررة عبر الشاشة التي سطع ضوءها ليرى الصغار عالم لم يشاهدوه من قبل أكثر تحضرا.. فعلها حاليوس ونطق بعفوية بهدوء يبدو خائفا:

- من نحن؟.

وهنا لم يعترض العجوز لأول مرة منذ بدء الصف.. ورغم تكرار الأخطاء نظر له نظرة حانية تعجب لها باقي الصغار:

- نحن ننتمي إليهم يا ولدي.

وهنا انصعق الصغار.. ناظرين له بكل خوف.. يتساءلون كيف؟. كيف كانوا منذ أيام يخترقون جماجم البشر ويعرفون الأسرار الدفينة لعالم يفوقهم حجما وذكاء؟..

قطع سيل الأسئلة العجوز وهو لا ينظر إلى أحد ويقول بهدوء حزين:

- منذ ملايين السنين كانت الأرض عبارة عن قبائل همجية لا تتمتع بالنظام أبدا.. كل من جلس على عروشها ينتابه مس من الجنون.. فيزيح قبيلة تلو قلبية.. حتى تكون أرضه هي المملكة التي يتوج بها اسمه..



يقتل ويدهس كل من يعترض طريقه.. حتى يضع اسمه بحروف من ذهب.. الذهب هو المادة الخام للون الأحمر.. للفوز يجب أن تقتل أحدا.. لتجلس على ذلك العرش.. يجب أن تقتل أحدا.. وإذا خضعت يجب أن تكن عبدا إذا أردت أن تحيا على أرضهم.. البشر يا صغاري أكبر خطر يهدد وجودنا على سطح الأرض.

قال حاليوس دونا عن الآخرين.. وكأنه هو المتحدث الرسمي للصغار:

- لماذا لا نتعايش معهم في سلام؟..

التفت له الكبير وقد تغيرت ملامحه بغضب وقال بكل صرامة:

- سلام.. تريد العيش في صفوف البشر في سلام؟.

توتر الصغير أكثر وردد:

- لم أقص...

قاطعه العجوز وهو يشير إلى تلك الشاشة التي ظهرت من نبع الأرض:

- سوف أريكم شيئا عن السلام.

ظهر على الشاشة شيء شهق له الجميع بلا استثناء.. حتى الصغير حاليوس ارتعد في خوف.

* * *



الجلسة السابعة



"الشيطان يكمن في التفاصيل"



في الغابة.....

- (هل رأيتم السلام الآن الذي ينشدونه ويريدونه بنو البشر)..

فقد ظهر على الشاشة شيء مفزع..

أحدهم يظهر باللون الأبيض والأسود.. مسجى على منضدة كفأر صغير.. يقوم أحد البشر.. بشق صدره بأداة حادة.. رجل يقوم بشرح ما يحدث بكل دقة.. أحد الصغار أخفى وجهه في فزع.. فقد كان مشهدا مخفيا بالنسبة للصغار أجمعين..

يقول المتحدث عبر الشاشة إن الموضوع على المنضدة أحد الكائنات الفضائية.. لا يحمل أعضاء تناسلية.. يشبه إلى حد كبير تكوين البشر من حيث التكوين الجسدي.. ربما كان يتناسلون عبر أدوات أخرى غير معروفة.. عندما نشق الصدر.. والرئتين.. يستمعون إلى الصوت الذي ارتفع رويدا رويدا..

قائلا وهو يصف ذلك الجسد الممد على تلك المائدة.. إنه فقد مركبته وتحطمت، وإن المركبة قد تملكها الآن وكالة ناسا لعلوم الفضاء.

انصعق الصغار.. بل ودوا حفر حفرة كبيرة لحشر أجسادهم الصغيرة



داخلها مثلما كانوا يفعلون في ما مضى.. أو مثلما كان يفعل أجدادهم.. عندما كانت تلتقطهم عدسات المصورين بالغابات.. كانوا يختفون من البشر رغم انتماء الفصيلة.. قال العجوز في آسى لا ينتمي أبدا لشخصيته الوقورة:

- تعلمون شيئا عن القطة.. عندما ترى من يفوقها حجما.. تهرع وتسرع بالفرار.. خشية أحدهم أن يقوم بدهسها.. لا تدري شيئا سوى الهرب.. لم تعتد سوى الهروب دائما أمام من يفوقها حجما خصيصا من ينتمي لجنس البشر.. عندما تصارع أحدا من الكلاب.. فإنها تصارع بكل شراسة.. لأنها تعلم حدود ذلك الكلب.. وأنه مهما فعل يدرك حجمها.. وتدرك أنه يرهب أنيابها.. تدرك أنه لا يمتلك ألاعيب لقطع رأسها.. وفتح أمعائها.. تدرك جيدا أنه تعلم أن يهرول أمامها.. ولا يدرك غير ذلك مهما ازداد حجمه. البشر أنكروا وجودنا بكل عنصرية مقيتة.. بل يعتبروننا كائنات لا تنتمي حتى إلى تلك الأرض.. ماذا بعد تلك الإهانة. لذلك يا صغار سوف أشرح لكم سبب وجود تلك الكرة التي تعكس صورة البشر اليوم؛ لأن اليوم هو الأخير لهم.

* * *



رمق حاليوس الأحدب العجوز وهو يجر الأطفال خلفه كالنعاج.. ذاهبا إلى ذلك الكوخ الذي يحمل فصيلا من البشر.. يود قول شيء ما ولم يفلح.. يشعر بحيرة وارتباك بلا حدود.. لقد خان عهد الجزيرة.. لقد اقترف أكبر الخطايا هنا.. يتتابه شعور بأنه سوف يحدث كارثة ولن يعد كل شيء مثلما كان. الشيء الذي يخترق كل خلجاته.. انه لن يجلس مجددا وسط الأطفال مرة أخرى.. لن يلقنه المعلم درسا جديدا من دروس جزيرة (النايفست) المجهولة.. التي لم يعلم بأمرها البشر.. عدا هؤلاء الذين وجدهم نائمين بالكوخ.. تذكر ما حدث عندما هم بفراق الكوخ الصغير الذي يحمل كبار القامة عندما.......

- (حاااااااااليوس تقدم).

قد نسي أنه قد توقف ليفكر.. وترك القافلة تتقدم لمسافة دونه.. فهتف العجوز بصرامة أن يستمر بالمسير.. يشعر بالخطر يحوم حوله من كل صوب واتجاه... ارتطم بشيء ما وسقط أرضا..

لم يبال بالتقدم قدر ما لفت انتباه الصغير ذلك الشيء الذي كان مدفونا بالأرض.. حجر أبيض كبير..



أزال الأتربة من حوله.. لم يكن حجرا!.. بل كان جمجمة لأحدهم!! جمجمة لصغير ينتمي لنفس الفصيلة التي ينتمي إليها.. مات هنا.. وشهق.. وهو ينظر إليهم.. وقد ابتعدوا عنه قرابة ستة أمتار كاملة.. من قتله؟.. لا يوجد قتل على تلك الجزيرة؟ أسرع نحوهم ليخبرهم بما رآه.

فقط توقف أمام ذلك المشهد.. الرجل العجوز يتوقف أمام باب الكوخ في صمت.. والأطفال يقفون خلفه في ترقب.. كأنما علم ما فعله حاليوس.. ويستعد للاستدارة وتوجيه اللوم له مجددا..

لكن لم يحدث أي شيء.. فقط كان البشري الرجل العملاق الذي كان نائما مع بعض البشر..

ارتدى بنطال أزرق وصدره عاريا متصببا عرقا.. يمسك ببندقية.. ويقف خلف الأشجار من زاوية اليمين.. مصوبا شيئا معدنيا.. بندقية.. نحو قافلة الأطفال.. وأطلق نحوهم رصاصة.. اخترقت جمجمة صغير.. محدثة رزازا من الدماء الأحمر على وجوه الأطفال. وهنا حدثت زوبعة وهرج ومرج..

وتفرق الصغار صارخين بوتيرة متوحشة.. متوعدة ذلك الحقير بالويلات... كان كل هذا والصغير حاليوس ينظر بكل دهشة ورهبة لما حدث منذ لحظات.. سقطت دمعة حارقة..

ابتلعتها الرمال. فكل شيء انتهى..

وكل نسله قضي عليه تماما.

تطلع إليه الشاب المقتول مصوبا إليه البندقية.

* * *



-(هااااااااء.. اوووووووووااااه).

صدر ذلك الصوت من الصغير حاليوس ليجد نفسه أمام دائرة يحوطه الصغار بشكل دائري ينظرون إليه بدهشة وسخرية، حتى لقد اتسعت عيناه عندما رأى المعلم العجوز يقترب منه باسما وهو يقول:

- الصغير حاليوس ينام في أثناء إلقاء درس اليوم؟!.

تطلع إليه الصغير في حيرة وتعجب عبر عيونه الواسعة التي ترقرقت بالدموع وهو ينظر إليهم جميعا قائلا في خوف:

- انتم أحياء.. ألم....

عقد العجوز حاجبيه في دهشة ساخرا قائلا:

- لن تعاقب اليوم.. عزائي الوحيد أنك كنت معاقبا البارحة.

ضحك باقي الصغار وهنا وضع العجوز يده خلف ظهره واقفا ليعطي درسا آخر:

- يا صغار الكانون.. هؤلاء ما يطلقون عليهم منذ الأزل سلالة (البشر).. يمرحون ويسيرون بالأرض.. ماذا تقترحون؟.



قال أحد الصغار كاشفا عن أنيابه الصغيرة ببراءة:

- سوف يحرقون داخل أتون اللهب.

نظر العجوز الأحدب بغضب كأنه يؤنب أحد الصغار لتسرعه في الإجابة قائلا:

- كلا.

قال صغير آخر:

- سوف نسلخ جلودهم لصنع الشمع.

قال الرجل في حكمة مشيرا إلى الصغير بهدوء:

- اقتربت.

ناظرا إلى الصغار أجمعين كقائد سيمفونية الأوبرا.. مطلقا صوتا مماثلا لزائير الأسد.. ثم عاد يقول بأداء مسرحي:

- سوف نتلاعب بعقولهم..

وأشار إلى جمجمته الكبيرة:

- عبر هذا.

ارتعشت أطراف حاليوس لقد سمع تلك الجملة من قبل!!.. ما كان يدور بخلده أكبر من جمجمته الصغيرة.. ينطق جملة مندفعة:

- يا معلم كم شخصا هنا يحمل قدرات خارقة؟.

نظر له المعلم بغرابة وقال وهو يعقد حاجبيه حيرة قائلا:



ـ لماذا تسأل عن قدرات زملائك.

أسرع الصغير يرتجف أكثر وأكثر.. والصغار من حوله أشعلوا الموقف بهمهات متسائلة قال المعلم:

ـ ألا تعلم قدراتك بعد يا حاليوس.

لم ينطق الصغير.. يكتم شيئا مجهولا عبر دمعة أخذت مساحة كبيرة من عينيه الواسعة.. تقدم نحوه.. ارتجف أكثر الصغير كلما ازداد اقترابه.. فقال العجوز متسائلا مقتربا من وجه الصغيرا محنيا ظهره:

ـ هل تعلم شيئا لا نعلمه؟.

تردد الصغير وهو يشعر بالخوف كلما وجه إليه سؤال مباشر من معلمه الوحيد.. قبل أن ينطق بخوف:

ـ سوف يقتلوننا جميعا.. ه.... هذا كل شيء.

انصعق الشيخ انصعاقا لقول الصغير.. فكاد الغضب أن يدمر حكمته.. فأسرع يتحكم فيما بقى من أعصابه النافذة قائلا:

ـ قص علي.. ماذا رأيت؟.

وعلى مدار عشرين دقيقة كاملة قص عليهم الصغير ماذا حدث بكل تلقائية مباشرة كانت تجمع ما بين التوتر والخوف والقلق.

* * *



الجلسة الثامنة



"كل ما فات كان وهما والآت
هو الحقيقة، القاسية".



في العيادة:

ـ (هذا وقد شرحت لهم جميع الأحداث التي حدثت تلك الليلة.. تلك المغامرة التي قام بها البشريون.. لذلك قد أرسلوك إلى هنا متخفيا في صورة ذلك الشاب المدعو "أحمد" كي تنتقم.. يجب أن تعلم أن ذلك الشيء الذي برز بذراع "أحمد" كان أنت.. بيوم وليلة رأوا ذلك الورم الكبير يختفي وينقشع من الوجود بعدما هربت.. جن جنونهم.. وراحوا يبحثون عن من قام بنزع الورم من ذراع الأخير.. اختفيت في ذلك الدولاب الكبير بعدما ولجت عبر عقل ذلك الرجل.. فررت من جسده وبعدها وبعد أن اطمأننت أن الجميع قد ذهبوا تاركين الرجل ممدا والأسلاك متصلة بكل قطعة من جسده ذبحته، وقمت بإخفاء جثته في مكان بعيد.. لأنك ماهر في التخفي.. عدت على هيئة "أحمد".. جالسا بموضعه.. ذلك كان السبيل الوحيد للولوج إلى عالم البشر.. تسللت عبر خلايا مخه حتى أصبحت واقعا أنت حاليوس.. الصغير.. الذي يمتلك قدرات رؤية المستقبل.. أنت البطل الصغير الذي سوف يحرر تلك الجزيرة من ظلم بني آدم يجب أن يعلم الجميع أمرك.. أخبر الجميع بقصتك ولا تيأس أبدا.. سوف يكذبونك.. سوف تصعق بالكهرباء..



سوف يدفن أحدهم رأسك بقالب الماء.. قل كل شيء.. أخبر العالم عن هويتك.. قل لهم من أنت آلاف المرات.. ذلك هو الحل من أجل أسرتك الكبيرة.. أنا هو المعلم وباقي الأطفال أخواتك في انتظارك..).

* * *



ظلت تلك الجلسة أربع ساعات كاملة.. تعرقت بغزارة وأنا أسرد تلك الأحداث.. ما حدث تلك الليلة أصابني بإرهاق شديد.. بعدما قمت بسرد الأحداث بمنتهى الاهتمام والصبر.. تعمقت في وصف المشاعر الإنسانية لذلك الرجل بكل دقة وحذر.. كنت ممسكا بأوراق أسرد من خلالها للجالس على الشازلونج في حالة شبه نائم الأحداث برمتها.. كان يجب أن أفعل!.. يجب أن يقتنع بكل حرف..

يجب أن يعلم تفاصيل كل هذه الأحداث التي لا تصدق.. وقد فعلتها. المريض الآن لا يحتاج سوى تكة إصبع ويكون كل شيء على ما يرام.. أنظر إلى باب الغرفة حيث كان في انتظاره زوجته..

وذلك الغريب برفقتها.. لا أخفيكم سرا قلبي انقبض لأول وهلة علمت أن الذي كان جوارها ليس زوجها منذ ثلاثة أيام تحديدا.. أتت إلى عيادتي المسكينة التي تكاد شقوقها تبصق في وجه كل زائر.. مطالبة بالابتعاد والبحث عن طبيب غيري أكثر أناقة، وثقة، وجماهيرية.

كانت تعلم من أنا منذ البداية!؟.

اطلعت علي سجلي الأسود بأكمله.. ولن تفشي سري لأحد..



إنها لعبة قديمة..

تدركونها جيدا..

وطرحت فكرة أن أحظى بعيادة أنيقة رفيعة المستوى..

يزورها كل مطالب بالعلاج الإيحائي.. التنويم المغناطيسي(*).

الفكرة تبدو عبقرية.. استبعدتها في بادئ الأمر.. حتى علمت ماذا فعلوا بذلك المسكين.. عبر أكواب وعقاقير هلوسة.. أصيب بنوبات عصبية، في الفترة الأخيرة؛ مما جعله في ثورة دائمة.. حتى أصبح الزوج الذي تتمناه تلك الزوجة.. "فقد عقله".. ولكنها تصر على المسير في ذلك المشوار معه إلى خط النهاية.. كزوجة مخلصة لم تترك يوما زوجها في تلك المحنة.. "كاذبة". كي تظهر براءتها أمام المجتمع كزوجة صبور وحمول.. وكل شيء صالح لتتولى مسؤولية المنزل، وللحجر على من "فقد عقله"

(*) الأهمية الحقيقية من التنويم الإيحائي في حالات العلاج هي "عندما يكون الذهن في حالة التركيز والاسترخاء العالي، يكون العقل الباطن مفتوحاً وقابلاً للاقتراحات والإيحاءات الإيجابية والمشجعة، وعندها تتمكن هذه الاقتراحات والإيحاءات من التغلغل والترسخ في العقل بسهولة وليونة أكثر، لتأخذ مفعولها بشكل أفضل وأسلم".

التنويم الإيحائي هو واحد من مباحث علم النفس، أول من استخدمه هم المصريون القدماء ثم اليونانيون والبابليون ولكن أعاد اكتشافه في العصر الحديث الطبيب السويسري فرانز انطوان ميسمر في القرن الثامن عشر عندما استخدمه لتخدير مرضاه، وقد أعتقد الناس أن ما يفعله ميسمر هو نوع من السحر والشعوذة، وقد قامت المنظمة الطبية في فيينا من حرمانه من عضويتها.

يستخدم الآن الأطباء النفسيين التنويم الإيحائي لعلاج مشاكل الأعصاب والأرق والصداع وإدمان الكحول أو المخدرات. وقد تم إجراء أول عملية لاستئصال ورم من الحنجرة بالتنويم الإيحائي عوض التخدير من طرف الطبيبة المغربية أسماء خالد بالمستشفى الجامعي بباريس (ابريل ٢٠١٤) قصد حفظ الحبال الصوتية للمريضة التي تعمل كمغنية وقد تمت العملية بنجاح.



ويرى صورا غريبة لكائنات جهنمية مقتنعا تمام الاقتناع بوجودهم.. زوج مخلص وزوجة على الاستعداد للتخلص منه، وإلقاء جثته في أقرب سلة قمامة.

طرح فكرة الاقتناع العميق.. وزرع جذور لفكرة لا تمت للواقع بصلة.. عن طريق عدة جلسات.

قل لي من في ذلك الزمن يرفض مطلبا مغريا وغالي الثمن مثل هذا؟!.

الرجل الذي كان جوارها كانت تحبه بالطبع.. رغم شكي في حبه تجاهها.. من نظراته التي يبدو منها كل الجشع وطمع الكون. يبدو محبا لأموالها ويتحملها إلى أن يصل إلى ما يريد.. وبعيدا عن كل تلك الأشياء. كان لابد أن أشيد بتلك الفكرة بعقل ذلك الرجل.. الذي قام باختراع الفكرة الجريئة برمتها، مقابل ثلاثة ملايين من الأوراق المالية.. وطبيب مرتش.. الفكرة النظيفة كما قال عشيقها هذا..

المطلوب جعله كالذي أصابه المس والعته عندما يعرض أمام المحكمة؛ كي تعطي لها الأحقية الكاملة بالتصرف في أمواله بعدما أصابه الجنون، وفقد عقله ولم يعد مطلقا.. وبالتالي سيؤول لزوجته الحبيبة مسؤولية التصرف في أمواله، وهو المطلوب! سيبدو أمام الجميع مخبولا بعد تلك الجلسات.. بعدما بالغت في إعطائه المزيد من حبوب الهلوسة والمخدرات بعقله.. نعم!..

المخدرات؟.

لقد جعلوها بالمأكل والمشرب.. لا تسمح للزوج إطلاقا بالأكل خارج المنزل.. حتى يكون ضحيتها هي.. وفي حوزتها. وتفوز بكل شيء



الملعونة. لقد أعطوني محقنا سوف أقوم بدسه بعروقه قبل أن يفيق.. به كمية لا بأس بها من المخدرات.. عندما أعطيه تلك الجرعة سوف يكشف الطبيب المعالج أنه أخذ جرعة من ذلك السم أكلت نصف عقله. ولابد من الحجر عليه لعدم سلامة قواه العقلية.

قد أتى وقام بتسليمي رزمة من الأوراق المالية للمصداقية التامة.. لأثق برجل مثله.

ذلك الخبيث!؟. أخذت الأموال بعد تفكير مضن.. لم يمر عليه سوى ثلاث دقائق معدودة.

أعطاني الأوراق كاملة، كانوا على عجلة.. أتوا بعد رحلة طويلة بإحدى الغابات.. قاموا بعدها بسيناريوهات محفوظة هم ومجموعة من الأصدقاء المقربين.. أعطوه محقنا في الأوردة الزرقاء..

أتوا به إلى هنا..

لأبدأ رحلة الإقناع العميق، وأجعل عقله يتقبل فكرة المخلوقات القصيرة!. بل وإنه ينتمي إليهم أيضا.

قد تسبّني الآن!.. قد تقول عني أني وحش كاسر لا يعرف معنى الرحمة.. من منا لم يكن وحشا بطرق مختلفة في هذا الزمن يا صديقي. ليس مهما أن أشعر بتأنيب الضمير.. يمكن ترويضه بالمال.

ليس مهما أن يكون ذلك الرجل مسكينا حقا وقع في براثن زوجة طامعة في المال فقط.

الجميع يحب الأموال.



ـ سوف تفق بعدما أطرق بإصبعي ثلاث مرات كي تنتقم من البشر.

"تك... تك.. تك" صوت الأصابع.

يفتح عينيه كأنه لم ير النور من قبل، متأملا كل ما في تلك الغرفة لأول مرة..

ينظر إلي نظرة متفهمة..

ها قد حققت سابقة بالإقناع العقلي.. ينظر إلي وقد تفهمت ماذا تعنى تلك النظرة.

نظر إلى باب الغرفة.. أطلت بخفة القطة زوجته.. جاءت لتكمل باقي ذلك المسلسل..

احتضنته.. تبكي بكاء التماسيح.. نظر لها بكل براءة قائلا:

ـ أنا حاليوس أتيت من جزيرة بعيدة.. لي أقرباء مثلي ووو.. لسنا كائنات فضائية سيدتي إنما نحن..

أنظر إلى الباب لأرى ذلك الرجل رفيقها يبتسم في سخرية مريرة..

مشيرا إلى بعض الرجال مرتدين الزى الأبيض..

أتوا بجلباب أبيض طويل.. زي الجميع يعلمه وشاهده آلاف المرات عبر الشاشة الصغيرة.. زي المجانين.... ما أن اقتربوا من المسكين حتى قال بفزع:

ـ ماذا انتم فاعلون؟.. أنا حاليوس.. حاليوس معلمي سوف يشرح لكم كل شيء...



طوقوه جيدا.. وهو يحاول أن يتملص قائلا بنوبة هستيرية:

- أنا حاليوس.. اتركوني أيها الملاعين.. يجب أن أنقذ إخوتي.. لقد مزقوا أمعاءهم بآلات حادة......

شيء مؤسف لا أنكر تأثري بالأمر.. وهم يحقنونه بجرعة من المخدر.. قبل أن يصبح قطة وديعة من السهل حملها والخروج من عيادتي في سلام.. وقفت الزوجة تنظر إلى الرجل بإعجاب.. الذي أعطاها ابتسامة ساخرة.. هل سوف تظلا هكذا طوال النهار أيها الملاعين أعطوني مالا، وارحلا.. نظر إلي الرجل قائلا:

- عمل جيد يا دكتور.. لقد أتممت مهمتك على أكمل وجه.

احتبست الكلمات داخل فمي لا أدري هل أفخر.. أم أشعر بالعار المهني؟!.. "المال"..

معه مال ومعه القوة ومعه هي.. كيف أوقعتها في براثنك أيها الوغد.. تنحنحت قائلا بحذر:

- هل تسمح بإعطائي أموالي من فضلك.

تقدم ناحيتي خطوات لم أرتح لها مطلقا.. كضبع مع فريسة سهلة.. أخرج من جيب الجاكت الثمين قطعة من الشوكولاتة وأعطاها لي قائلا:

- هديتك.. ها ها.

أخذتها منه بحذر وأنا أنظر إلى عينيه.. تقريبا أصاب وجهي الوجوم والمرأة تقول:

- لا تنس شيئا هاما.. لم نتأكد بعد من مدى اقتناعه بالأمر.



قلت لها بتوتر:

- لقد رأيتي بنفسك كان يعلم أنه حاليوس الصغير.. ألم تتأكدي؟!.

قال الرجل رابتا على كتفي في ود مصطنع:

- كل شيء وارد يا دكتور.. والمبلغ الذي سوف تحمله ليس قليلا.. إنهم ثلاثة ملايين جنيه.

ما أدرانا.. فقد يسترد عقله بعد يوم أو اثنين.

قلت بتوتر والعرق بدأ يتصبب من جبهتي، وحرارة جسدي بدأت في الارتفاع:

- الجلسة كانت عميقة جدا يا سيدي...

قاطعني:

- لماذا لا تأكل الشوكولاتة.. ألا تعلم فائدتها؟.. يجب أن تهدئ من أعصابك قليلا.. المال في الحفظ والصون لا تقلق.

لغة أولاد الشوارع السوقيين.. اللعنة.. لن يعطوني ذلك المال بتلك السهولة كما اعتقدت..

سوف أنتظر موعد انعقاد جلسة المحكمة.. وبعدها.. تبا.

قشرت ورقة الشوكولاتة.. ووضعتها في فمي بتوتر بالغ.. أكمل حديثه في استهتار:

- تعلم يا دكتور.. كان يمكننا قتله بمنتهى السهولة.. أنت لا تعلم ذلك القذر ماذا فعل بي عندما اختطف مني محبوبتي.. ووضعها سجينة



في جنة منزله.. لم تستطع أن ترفض رجلا مليونيرا؛ ليوضع ميراث الحب الذي بيني وبينها في أقرب سلة مهملات من أجل ذلك العفن.. لقد أصبح المال لغة يا صديقي لتجارة الزيجات.. من يدفع أكثر يفز..

لم أنتبه لكلماته وأنا ألوك قطعة الشوكولاتة بفمي عسى أن تمدني بقليل من الهدوء النسبي.. أخذ يقول كالشيطان بنظرات لامعة:

- بدلا من قتله ماذا عن وضع مخدرات.. وطبيب.. وبذلك أرى عذاب الموت البطيء في عينيه.. الموت لم يكن حلا.. لم يشف براكين اللهب بداخلي.. لأنه...

قاطعته قبل أن يسرد قصائد عبقريته الفذة:

- سيدي من فضلك لا تجعل تأنيب ضميري عذابا لا ينتهي، من فضلك أعطني نقودي..

نظر إلي بدهشة.. كمن انصعق لتهوري.. فاجأني باتساع ابتسامته في سخرية:

- هل شاهدت فيلم "غرام الأفاعي"؟.

- لا!.

- حسنا.. اكتشفوا عقارا ساما لا تكشفه التحاليل الطبية قاموا بدسه في طعام ذلك الساذج.

بدأ القلق على وجهها وهي لم تتحرك مطلقا من باب العيادة تنظر للصاعدين بقلق.. ماذا تفعل؟.



- ما شأني أنا بكل هذا.. إذا كنت تريد قتله بذلك السم فلماذا لم تقتله منذ البداية؟.

- قلت لك مسبقا يجب أن يدفع الثمن.

شعرت بدوار.. انقلبت صور كل شيء أمامي كأن أحدهم قام بضربي على جمجمتي..

أو صاعقة ضربت جسدي.

وهنت وضعفت.. استندت إلى طرف مكتبي المتهالك.. وأنا لا أجد كلمة.. لا أجد معنى..

لا أجد صورة..

فقط بعض الكلمات المجعدة تقول:

- وهل اعتقدت... أمنح... فقيرا... مثلك ثلاثة ملايين أيها المغفل.. من يهتم بغرفة أو طبيب مثلك.. وداعا.

الدقائق مثلها مثل الثواني الآلام تنهش عروقي.. قلبي دقاته تتسارع بشكل جنوني.. الغرفة... لا أحد بالغرفة... مسجى أرضا.. لا أحد.. أحاول نطق أي شيء.. مساعدة من شخص ما.

مساعدة.. أحتضر.. أمسك موضع صدري.. السم اندس سريعا.. هدوء.. وأنا والغرفة.

لقد استسلمت.. لا أمل.. الرؤية تتلاشى. العروق تتصلب.. مسجى على وجهي.



أستمع إلى قدوم شخص.. بعد فوات الأوان.

لا أحتاجك فقط هي ثوان وأرحل.

باللون الأبيض والأسود، شيء أشبه بطفل..

ليس طفلا.

أمسكني من رأسي بوحشية كألف رجل، رافع رأسي كي يريني وجهه... لم يكن من البشر.

لم أكن حاضرا فقد انتقلت إلى العالم الآخر.

* * *



أستمع لصوت يقول بكل جدية كأنما يقوم بجلسة تنويم إيحائي لأحدهم:

"اختفى المشهد من أمام أحمد ليجد نفسه مكبل الأطراف داخل فراش.. داخل غرفة صغيرة.. يستمع إلى همسات بالخارج تقول: الوضع خال من أي أمور غير طبيعية تلك المرة.. الزنزانة مطمئنة..

ـ (منذ أن أتى ذلك المريض وأنا لم أشعر براحة مطلقا..).

قالها ذلك التمرجي الجالس برفقة زميل في إحدى الوحدات الصحية..

ـ مع أنه ابن ناس.. ما الذي فعل به هذا؟.

ـ لست أدري.. يقولون إن امرأة (عملت) له عملا ما.

ـ آه.. يا ويلاتي من كيد النساء.

ـ الأعمال الشيطانية لا تأتي سوى من أيدي النساء يا رفيقي.

ـ حطب النار يا عثمان.. حطب النار.

أكمل التمرجي برجفة:



- (البارحة وجدته يقول شيئا ما لي!.).

- ماذا قال أنا أرتعد؟.

- (يقول إن هناك عفريتا تلاعب بعقله، وعقل رفاقه حتى يأتي برجل يحمل كل (الفتن....).

- ماذا تقصد!.

- لست أدري هذا ما قاله، سلام قولا من رب رحيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وراقبا أحمد من بعيد..

يتحدث إلى شخص ما خفي..

اقتربا إلى الجوار أكثر منصتين..

قال صراخا..

(أنت لست نرمين)..

نرمين ماتت.. نرمين مات.

قال زميله في خوف ورهبة:

- قابلت كثيرين أصحاب الحالات الحرجة من قبل ولكن تلك المرة أشعر بشيء من الحقيقة.

- زوجة ذلك الرجل أتت كثيرا للاطمئنان عليه حتى الآن أكثر من عشر مرات اليوم.



- ألم يقل إنها ماتت.

- المجانين في نعيم.. اذهب واحضر لنا أكواب الشاي الساخن.. فقد يأتي الطبيب في أي وقت في دورية الساعة الثانية عشرة.

نظر الأخير إليه وقال بتوتر:

- حسنا.

وقف يتطلع إلى أحمد الذي استكانت حركته تماما تلك المرة.. ناظراله نظرة خاوية.. يتساءل آلاف المرات.. عن حقيقة مرضه.. قبل أن يغادر ليترك رفيقه يتطلع إلى جريدة اليوم.

لاحظ أنه قد أتى الطبيب المعالج.. ودخل غرفة الأخير.. وأغلق الباب خلفه.

"عندما أطرق بإصبعي يعود كل شيء.. مثلما كان بعدما رأيت نتيجة فعلتك.. لقد ذهب أحمد إلى مشفى للعلاج النفسي الأبدي كي ينعم المجرمين بالنعيم وتركوك مسجى بين الحياة والموت.. أنت سيء في السرد جدا أيها الطبيب الوقح".

"تك.... تك........ تك."

* * *



"أعجبتك تلك النهاية؟".

ما هذا الصوت؟.

أعاود الرؤية من هذا الشخص.. ألم أمت.. لم أمت.. أنا نائم على شازلونج في غرفة خالية.. فرقعة أصابع من شاب يعطيني ظهره يعد أكواب شيء ما.. ارتفع صوته:

- أعلم إنك تحب الشاي.. أتحبه سكر زيادة؟!.

قلت بصوت متألم ضعيف:

- من.. من أنت؟.

- هل ضروري أن أستدير لتعلم من أنا؟!.

هناك تشويش ضبابي في الرؤيا أنا لا أستطيع تمييز أي شيء.. أحاول استرجاع قواي الخاوية فقلت بتوتر:

- أنا لا أرى دون منظاري الطبي.

لم يعطني وجهه بعد.. أكمل بنبرة ساخرة:

- ألا تميز صوتي أيها الحقير؟.



حاولت الاعتدال ولم أستطع أن أقوم من مكاني فكانت يداي مكبلتين.. أحضر أكواب الشاي الساخن واتجه نحوي.. لم ألتفت إليه وأنا أحاول التملص من القيود، فلم يهتم وأنا أقول:

-من ربطني هكذا.. فك قيدي.

ربط ذراعي جيدا ذلك الوغد.. قائلا وهو مستمر بنبرة قوية خشنة مخيفة:

-ألم تفعلها من قبل في أحدهم؟.

أنظر إلى وجه..

يا إلهي...

تبا.



جلستي



قد أحضر كرسيا صغير الحجم.. وجلس بجواري..
أصبح قربي مثلما كنت أفعل مع مرضاي.



وضع منظاري الطبي على وجهي بكل ذوق.. قائلا:

- تساءلت كثيرا هل ترى مرض المرضى حقا وأنت لا ترى؟.

قلت بتوتر والعرق يلفح جبيني:

- ماذا تقصد؟.

ضحك قليلا وأكمل بنفس الهدوء الذي يميزه كشاب متحضر:

- طبيب نفسي ولا يدرك معاني الكلمات العميقة.. لا عليك.

- أريد أن أفهم كيف؟.. لقد كنت واقعا تحت تأثير محقن من هلو...

- هلوسة.. هلوسة أيها الطبيب.

أماءت بالإيجاب بتوتر أكثر منتظرا إجابة أكاد أموت لمعرفة أسبابها.

ولم يفارقه هدوؤه مطلقا.. وكأنه آت من نزهة مرحة:

- سوف اقل لك كل شيء..

أخرج من جيب ذلك الروب الأبيض بطاقتين قائلا:

- ناهد محروس فواز.. السن ٣٠ ربة منزل.. منطقة السكن... حاصلة على دبلوم تجارة.



ـ ياسر قطب السيد.. السن ٣٥.. منطقة السكن... حاصل على الشهادة الإعدادية.. يعمل سائق تاكسي.

اتسعت عيناي بدهشة عارمة.. خرجت مني كلمات مندفعة:

ـ تلك السيدة ليس اسمها ناهد ولا تسكن في المنطقة التي أقطن بها تلك كانت.

ـ كاذبة.. وخدعتك أيها الطبيب الطيب.. ألم تفكر وتجعل عقلك النفسي يعمل للحظات.. وقلت كيف بسيدة ثرية مثل تلك تعلم بطبيب فاشل مثلك؟.. سمعتك كانت عالمية في تلك المنطقة.. طبيب المجانين؟!. جعلتها تحتاج إليك دون تفكير.. ومن غيرك لا يملك ضميرا يستطيع مساعدة الشيطان من أجل المال.. أنا اعلم سجلك بأكمله.

وضع هويتهم جواري تماما وهو يكمل مشبكا يديه بقدمه.. وعيناه مصوبتان نحوي:

ـ ألم تكن تلك الفتاة زوجتك؟.

ـ بالطبع كانت زوجتي.

ـ هل كنت تعلم بمستواها التعليمي أو...

قاطعني:

ـ أنت مخبول؟!. بالطبع كنت أعلم.. لا تفكر كثيرا وتقول كيف أوقعتني في حبالها كالغر الساذج!.

فقلوب الرجال سهلة التملك لو وجدت من يحبها بكل إصرار!. نعم تم الزواج على أكمل وجه.. الحياة كانت سعيدة لأقصى درجة.. تحديت



أبواي بكل إصرار من أجل الزواج من تلك الفتاة الشعبية التي صادفتها تعمل في صيدلية بالجوار.. كنت أحمل أدوية لبعض مرضى الزهايمر.. وتعددت الزيارات لسبب ما كانت تجذبني إليها كأقطاب المغناطيس.. رغم علمي بفارق المستوى الفكري بيني وبينها إلا أن كل هذا قد تم مسحه عندما رأيتها تبكي.. بالطبع أنت رأيت وجهها البريء.. بالفعل تم الزواج أخيرا رغم رفضهم لفارق المستوى الاجتماعي.. نظرية طبقية ليس لدي وقت لسرد كرهي لها.. أنا إنسان طبيعي.. أكره الغدر والخيانة مثلي مثل أي شخص سوي.

طمأنني كثيرا أنه لم يكن مثلي عديم الضمير، سوف يكون مصيري مطمئنا على الأقل، لم يبلغ السلطات بعد عن فعلتي، ربما استعدت جزء من هدوئي:

- هل كنت تعلم بالأمر منذ البداية؟.

- يمكنك القول بأني من دفعها إلى ذلك.

اتسعت عيناي وأنا أنظر إليه بكل دهشة وحيرة لجوابه؟!.

أسرع يبتسم بهدوء أكثر وهو يقول بهدوء وبساطة كأنه في نزهة ممتعة:

- لا تندهش هكذا.. لست وحدك الذي يشعر بالذكاء المفرط.. لا تنس أين تقبع عيادتك.. لو كنت تحمله لأصبحت تملك ثروة.

- أحمل ماذا؟.

- الضمير.

سوف يعطيني إذن درسا في الأخلاق الكريمة وحسن تدابير الأمور..



لم أنطق.. سوف أدعه يفرغ ما في جعبته.. أخرج جورنالا قديما من معطفه.. واضعا أمامي حدثا ربما قمت بقراءته يوما ما... كانت صورة لرجل أسود اللون، صورة مجازية.. قاموا بتكبيل أطرافه على كرسي وهو ينظر إلى لا شيء في استسلام، وشرود.



تجربة علمية تستحق القراءة والتأمل!.

قام الدكتور "بورهيف" بتوظيف بعض المجرمين في تجاربه وأبحاثه العلمية المثيرة مقابل تعويضات مالية لأهلهم، وأن تُكتَب أسماؤهم في تاريخ البحث العلمي، ومجموعة من المغريات الأخرىٰ، وبالتنسيق مع المحكمة العليا وفي حضور مجموعة من العلماء المهتمين بتجاربه، أجلس (بورهيف) أحد المجرمين المحكوم عليهم بالإعدام.

واتفق معه علىٰ أن يتمَّ إعدامه بتصفية دمه بحجة دراسة التغيرات التي يمر بها الجسم أثناء تلك الحال، عصّب (بورهيف) عيني الرجل، ثم ركّب خرطومين رفيعين علىٰ جسده بدأ من قلبه وانتهاء عند مرفقيه، وضخَّ فيهما ماءً دافئًا بدرجة حرارة الجسم يقطر عند مرفقيه، ووضع دلوين أسفل يديه وعلىٰ بُعد مناسب، حتىٰ تسقط فيهما قطرات الماء من الخرطومين وتُصدر صوتًا يُشبه سقوط الدم المسال، وكأنّه خرج من قلبه مارًّا بشرايينه في يديه ساقطًا منهما في الدلوين، وبدأ تجربته متظاهرًا بقطع شرايين يد المجرم ليصفّي دمه وينفذ حكم الإعدام كما هو الاتفاق.

بعد عدة دقائق لاحظ الباحثون شحوبًا واصفرارًا يعتري كلَّ جسم



المحكوم عليه بالإعدام، فقاموا ليتفحصوه عن قرب، وعندما كشفوا وجهه فوجئوا جميعًا بأنّه قد مات!!!

مات بسبب خياله المتقن صوتًا وصورة دون أن يفقد قطرة دم واحدة!!!

والأدهى أنّه مات في الوقت نفسه الذي يستغرقه الدم ليتساقط من الجسم ويسبّب الموت، مما يعني أنَّ العقل يعطي أوامر لكل أعضاء الجسم بالتوقف عن العمل استجابةً للخيال المتقن، كما يستجيب للحقيقة تمامًا.



"في يوم كئيب وعصيب لاحظت تغيرات علىٰ ملامحها.. حاولت التقرب لها بكل الطرق.. كانت ترفض؟!.. بالتأكيد أصبحت تكرهني لسبب غير معلوم؟!.. أصبحت الحياة كئيبة ومملة لأقصىٰ درجة.. كانت تؤدىٰ دورها مثل الآلة.. دون مشاعر أو رد فعل!.. ابتعدت عنها بالحديث.. أصبحت كالجار لا أراها سوىٰ صدفة عند موعد الغداء، أو في الصباح.. أراها مثلما أرىٰ قطعة أثاث روتينية الرؤيا.. لاحظت انشغالها التام بالهاتف الجوال في تلك الليلة تحديدا.. تساءلت بغتة قاطعة أحبال الصمت التي بينها وبيني منذ فترة طويلة.. ممسكة الجريدة تشير لخبر يحمل عنوان هو "تجربة علمية تستحق التأمل" تساءلت عن صحة الخبر.. كنت آمل أن يكون خبر مثل هذا كفيل بإذابة جبل الجليد الذي وضعته حولي، أخبرتها بكل حماس أن كل شيء ممكن بالإيحاء.. يمكنك إقناع شخص أن يبيت في قبر دون طعام أو شراب.. ويظل حيا.. شرحت لها كيف اجروا عملية كاملة دون بنج لمريض بالإقناع والإيحاء.. السؤال هنا كيف يلفت خبر مثل هذا انتباهها إلىٰ تلك الدرجة؟..

وفىٰ الساعة الثانية عشرة منتصف الليل.. وجدتها تتحدث مع شخص غريب في البلكون.. قررت قتلها دون تردد.. ولكن تحليت



بالصبر.. الاندفاع خطر دون تفكير وتروي.. خصوصا لو كنت ابن أكبر رجال الأعمال بالبلدة.. رغم تهوري واندفاعي التزمت الهدوء.. انتظرت ثاني الليالي وبالمصادفة كنت أمر بجوار صيدلية الأدوية القريبة لمنزلي فأخبرني الصيدلاني أن زوجتي قد قامت بشراء مخدر.. وعند العودة إلى المنزل وجدتها تحضر العشاء.. وبعد تلك الوجبة تثاقل جفناي.. حاولت المماطلة ولم أفلح شعرت حينها بالغباء رغم علمي بشرائها المخدر!.. ولكن لم أكن أتخيل أنها سوف تدسه بالطعام.. التساؤلات تنهش كياني لماذا؟. وفورا قررت الخلاص من تلك الزيجة الكئيبة.. وفي الصباح أفقت والضباب يشوش الرؤية إثر المخدر، وجدت أبي وأمي منزعجين وقلقين بجواري يقولون إنني كنت في حالة هستريا، استنكرت وطالبت برؤية زوجتي.. أخبروني أنها ذهبت.. أسرعت الخطى نحو تلك المنطقة التي كانت بالقرب منك.. كنت أخشى أن تذهب إلى ذلك الوغد القاتل.. سألت الجميع هل شاهدها أحد؟ أين ذهبت؟.. الجميع رأوها وهي تصعد إلى هنا.. وقفت لاكتشف خيانتها.. صدمني صوتها تطلب منك الخلاص من زوجها بفكرة مبتكرة.. الخلاص من زوجها وبنفس أداة عمله؟.. كانت تظن أنها بالذكاء والخبرة لخداعي بطرق بسيطة بالنسبة لي.. لن أصف شعوري في ذلك الوقت.. استمعت إلى خطتكم بأكملها.. لحسن حظي أن عيادتك هشة تسمح لخروج ودخول الأصوات بسهولة حتى بالهمس.. وهنا قررت قلب المخطط رأسا على عقب.. أحضرت أجهزة تنصت دقيقة وصغيرة الحجم.. انتظرت تلك الليلة مغادرتك العيادة.. للحظات خشيت أن تكون العيادة هي منزلك.. فتفشل الخطة منذ البداية.. اللعينة أخبرت أبواي بإعطائي دواء مهدئ لم يكن سوى عقار للهلوسة السمعية والبصرية.. طمأنت أبواي بأخذي الدواء، قمت



بالاطلاع على أدوية الهلوسة التي أخفتها بكل ذكاء كما تظن في نفسها.. وذلك وحده ما جعلني أصبر للنهاية للانتقام بكل قسوة، ادعيت التمثيل المتقن بالهلوسة وفقدن القدرة على التفكير.. قمت بتغيير العقاقير ووضع بدلا منها مواد غذائية.. ادعيت رؤيتي لحاليوس وجاليوس.. تساءلت كثيرا ما تلك الشخصيات؟ قلت وأنا أجيد تمثيل شخص ما يحاول أن يسترجع ذاكرته.. أشرت لها برواية قديمة قمت بكتابتها بنفسي ويوما ما قصصت على مسامعها أحداثها وأخبرتها برغبتي في رؤية (الاحاد القدامى) ورغبتي للذهاب إليهم بأي شكل، لذلك صنعت ذلك العالم البعيد.. أنت تعلمه جيدا.. الرجل الأحدب وصغره وقدراتهم المدهشة.

يصمت ليضحك ويكمل المسيرة في الحديث:

الأيام تمر.. وضعت لي المخدر من جديد وأخذت الرواية وذهبت إلى هنالك.. إلى عيادتك.. جلست وأخبرتك عن عرضها في جعلي أعيش كابوسا من صنعي.. لم أكن أملك دليلا واحدا للخيانة ضدها.. ذلك لأنها سوف تحاول تشكيك الجميع بعقلي.. وادعاءات كاذبة لحسن حظي.. استفدت من حرصك الشديد.. راقبتك وأنت تقوم بتسجيل لقاءاتكم دون أن تدري هي ومن معها؛ لأنك كنت مخبولا شكاكا إلى أقصى درجة، لذلك كنت الوسيلة نفسها لعقاب تلك الخائنة.. (الإقناع).. جاريتك في تلك التمثلية المتقنة. ولحسن حظك وفي الجلسة الأخيرة.. أحضر ذلك الوغد "الشيكولا" الذي قام بدس "ذلك السم ووضعها أمامي في غفلة ليقتلك.. استبدلت قطع الشيكولا بأخرى تحمل مخدرا.. لم أتحمل مراقبة جريمة مع سبق الإصرار والترصد مع إنك تستحقها عن جدارة.. أنقذتك أيها اللعين".



حملقت إليه طويلا وفمي متسع الدهشة والانصعاق.. شيء مبسط لما يحدث لي.. كيف يمتلك كل هذا الذكاء للإيقاع بزوجة خائنة؟.. كيف امتلك كل هذا الحب والكره؟.. وقعت أنا الآخر كالفأر بأكبر مصيدة في ذلك الكون.. عبر انتقام زوج وزوجة..

انتقام سوف يبعثر ما تبقى من عمري داخل زنزانة.

"كنت تملك الضمير الذي مات فور قدومي إلى تلك العيادة الحقيرة.. كنت تملك الخيار للتراجع بالمنتصف لكن المال.. المال يا صديقي كان اختيارك".

"هل أرحل للسجن الآن؟".

"ألا تريد معرفة مصير الزوجة والعشيق".

"لا فائدة.. النهاية واحدة".

"معك حق!.. لا فائدة أنت تريد معرفة مصيرك وحدك.. لا تخش إلا مصيرك وحدك".

"أبلغ عني.. افعل ما شئت فقد سئمت الدنيا وما فيها".

"أبلغ عنك الشرطة.. لا يا صديقي أنت تستحق الأفضل.. لا تقارن مصيرك بمصير هؤلاء الخونة.. هم قاموا بخيانة زوج.. أما أنت خنت شرف المهنة.. وخيانة شرف المهنة تعني أن انتقامي منك سوف يصبح مماثل لكنه أكثر دموية قليلاً".

حاولت بكل صرامة فك قيودي بإصرار وعناد.. كرهت صوته ذلك اللعين وهو يستمر في الحديث الهادئ المستفز:



ـ اششش.. اشششش اهدأ يا صديقي.. صحتك.. سوف تحتاج صحتك.

قلت صارخا:

ـ ماذا ستفعل بي.. قل لللللللللي ماذا تريد مني.

وقف متطلعا لي كأحد القوارض العفنة وقال بابتسامة ودية:

ـ ألم أخبرك من أنا؟!.. اللعنة.. المعذرة.

ألم تكن الهويات حقيقية.. أكنت لعبة بين أيديهم لتلك الدرجة.. لازلت أتقبل المفاجأة وعيني متسعة بانصعاق:

ـ ألست أحمد؟...

ـ لقب بطل رواية "حاليوس" ذلك كان لقبه.. اسمي "هشام صلاح الدين" الوريث الشرعي لرجل الأعمال صلاح الدين.. المهنة طبيب نفسي.

قلبي انقبض لنظرته الأخيرة.. انحصرت جميع التعبيرات داخل تجويف فمي فلم أنطق.. وهو يغلق الأنوار أحاول فك قيودي بكل السبل:

ـ فك قيدي أيها اللعين.. لا أريد أن أموت.

أستمع إلى صوته البعيد يقول عبر الظلام:

ـ سوف تعيش تجربة حية هنا يا صديقي.

ـ أعطني منن نن ظارئ الطبي من فضلك.. أرجوك لا أريد أن



أموت دون أن أرى.. أنا أخشى الظلام.

جاوبني بنبرة هادئة ذاتها:

- لا تخف.. أنت بعيد عن أعين الشرطة.. وبطائرة أخذتك من القاهرة إلى تلك الدولة الأفريقية.. تحديدا في أشرس الغابات. انقلب خوفي لرعب وأنا أقول باكيا بنبرة باكية يائسة:

- أنا لم أفعل ما يستحق، أنا لا.. أستحق.. الرحمة.

- سوف ينزاح الظلام قريبا أمامك.. سوف ترى الحقيقة كاملة بعدما أغادر.. أمامك تقريبا أسرة من الأسود تنتظرك بفارغ الصبر.. علمت من أصدقائي الأفارقة أنهم هنا منذ يومين كاملين ولم يأكلوا حتى أرنبا بريا.. حقا لست أدري هل سوف تكون وجبتهم الدسمة؟.. أم نحضر معك القليل من اللحوم.

- لاااااااااا.. لاااااا تتركني.. لاااااا تتركني.

- يدك الأخرى حرة.. ستجد منظارك.

أخذت ابحث في الظلام في مجلسي يمينا ويسارا.. أعطاني منظار في ملمسه لا يشبه مطلقا منظاري الطبي.. قلت خوفا:

- لا تتركني أرجوك.. سوف أشهد معك.. سوف..

- اهدأ قليلا وراقب مصيرك كرجل.

ظلام.. ظلام.. ظلام كل شيء ظلام.. لقد اختفى ذلك اللعين رائحة لحم نتن تفوح بالمكان..:



ـ أين ذهبت؟.. هشاااااااااام لا تتركني.. لا تتركني هنا.

انزاح أمامي الستار الأسود.. ليظهر بأسفله ضوء الشمس.. الإضاءة تتزيدا ولون الصحراء ينكشف رويدا رويدا..

ـ لا..... لا... لا لا لا لا.. أسود لا.

الأسود تتغذىٰ علىٰ غزالة فعلا.. ينهشون في أجزائها في نهم.. لا تنظري ناحيتي... يا إلهي الرحيم الرحمة.. الرحمة... الرحمة.

نظرت تجاهي أنثىٰ الأسد بغتة.. لا.. لا أريد تلك الميتة البشعة.

لا.. الصمت.. يجب أن أصمت.. سوف أنام.. سوف أصبح جثة.. لا يأكلون الميت.

تقترب ناظرة تجاهي..

ـ ابتعد.. ابتعدي.. لا تأت أنت الآخر.. لا تأت لا تأكلني.. يحومون أمامي لا لا...... لا.

ماذا سيأكلون أولا.. قدمي لا.. وجهي.. مؤلم.. مؤلم.. لا أستحق تلك الميتة.

انقض الأسد نحوىٰ.

لون أسود.

* * *



هل لازلت حيا؟.

أين أنا؟!!!.

يدي مكبلة لازلت.. لكن ليست بتلك الغرفة الأخيرة، من تلك الفتاة التي ترتدي الروب الأبيض من أنت؟:

ـ أنا ممرضة هنا.

ـ أين أنا؟.

ـ أنت بمشفى الدكتور هشام صلاح الدين.

لم يمهلوني دقيقة واحدة للاستيعاب حتى اقتحم الغرفة دون استئذان رجال شرطة.

قال الضابط بصرامة موجها حديثه للممرضة:

ـ هل الأمور على ما يرام؟.

قالت في استحياء وهدوء:

ـ يمكنك استجوابه.

نظر تجاهي بصرامة وهو يأخذ كرسي خشبي ويضعه جواري قائلا لزميله:



- افتح المحضر.

لم استوعب شيئا سوى أنني قمت بالإدلاء بأقوالي منذ قدوم الفتاة حتى وضعوا لي السم..

أتم المحضر وقبل أن يغلقه تساءل الضابط سؤاله الأخير:

- لماذا هربت أذن إلى المشفى الخاص بدكتور هشام صلاح الدين..

- أنا لم أهرب إلى مشفاه أقسم لك.

- لقد وجدناك هنالك في إحدى الغرف.. تضع على عينيك نظارة سوداء.. تقريبا لمشاهدة فيلم ثلاثي الأبعاد 3d.. هل كان فيلما جنسيا؟.. ما ذلك الجبروت يا رجل؟.. بعد عمليتك القذرة معه.. وتذهب إلى مشفاه لمشاهدة فيلم.. البجاحة بعينها!.

- أنا لم أفعل.. أقسم لك.. هو من فعل.. هو من فعل كل هذا.. صدقني ذلك الرجل مخادع.

- لقد أبلغ عنك وشكك في قواك العقلية.

- أنا؟.

- وبالمناسبة لقد سبقتك تلك المرأة وعشيقها إلى السجن.. سيلقون جزاءهم العادل، وبعد تقدم الدكتور هشام بطلب لعلاجك على نفقته الخاصة، وافقت النيابة على طلبه الشخصي للعلاج في مشفاه الخاص قبل الترحيل إلى السجن على ذمة القضية...

"ستعالج هنا.. لأنك مريض".

تمت

رُبَّما تَكُونَ رِوَايَةً مِنْ نَبْعِ الْوَاقِعِ، مَمْزُوجَةً بِالْخَيَالِ!.

أوْ خيالاً لَا يَمُتُّ بِصلَةٍ إلَى أيْ وَاقِعٍ!.

رُبَّما تَكُونِ فِكْرَةً؟..

أوْ رُبَّما أنْتَ عَلَى وَشْكِ الْوُقُوعِ فِي أكْثَرِ الألعاب خُطُورَةً!..

قَدْ لا يَعُودُ عَقْلُكَ كَمَا كَانَ!..

لأنها لعبةُ اللاعودةِ..

اِسْتَعِدّ.

محمود محمد إمام:

كاتب روائي مصري، من مواليد القاهرة ١٩٨٧.. تخرج في كلية التجارة، جامعة عين شمس.. كان يعمل في مجال الفوركس.. سبق له النشر في معظم الجرائد المصرية، بداية من عام ٢٠٠٧. صدرت روايته الأولى " المنكود" عام ٢٠١٤ إلى أن وصلت للطبعة الخامسة حتى الآن , ثم رواية "السرب " نهاية عام ٢٠١٥.